صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

# الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق – ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ٣٦٢٩١

السنة السادسة

العددان الخامس والسادس

كانون الثاني وشباط ١٩٦٥


## انطفأ شاعر

«الى روح صديقي بدر شاكر السياب
صاحب انشودة المِطر» ..

غاضت إذاً في زوايا الليل جلجلة   ومد واحته للمرهق العدمُ
لم تحمل النخلُ في أعلى ذوائبها   قصيدةً مثله ، لم يعرف الألم
يابدر .. يا زفرة جفت بحنجرتي   وفي يدي نبأ تعيا به الكلِم
لم أطو ديوانك المكتوب في شفتي   ما زال في قدحي من وهجه نَغم
على الصحيفة تلقاني اذاً خبراً   بعد الضياع ، وتنعى لحنها القِمَمُ
لم يلمحوا منك – واعذرهم – سوى شبح   للموت في كفن الاحياء يبتسم
لم يعرفوك .. وجل الفن عن سقط   من المتاع بخزِ الكبرِ يلتثمُ
قيثارة الملأ الاعلى وما درجت   منذ المعري في أرضي لها قدم
طويت ديوانك المقدود من سقرٍ   من عبقر ، من عذاب لم يذقه فمُ
طويته ، بعد أسفار على لجج   على شواطىء لم يحلم بها قلم
ما كان أظمأ أشواقي الى قدح   بعد السنين على الآلام نقتسم
ما كان اظمأني يا بدر .. واختلجت   دنيا ، وراحت على جفني تزدحم
صديقة الدار هل جفت حكايتنا   في مقلتيها ، وهل لمَّ الهوى حلم
كأننا أمس عبر الشط قهقهة   سكرى وامسية بالشعر تضطرم
كأننا أمس في بغداد أغنية   على الشفاه وفجر ظامىء نهم
كأننا أمس ، لا تفتحْ نوافذه   فالدرب حشرجة ما تنتهي ودم
يا بدر يا ريشة غنت روائعها   ليسكر الجوع بالصهباء والسأم
يا غربة الوحي في أرض ممزقة   بقطرة الأمل المذبوح تعتصم
صليت للمطر الغافي بأعيننا   للقبر يفغر فكيه ويلتهم
صليت للمعبد الدامي أترهبه   بعد الرحيل تساوى البرءُ والسقم
مدينة القحط ما زالت بلا مطر   واتخمت من سواقي جوعنا الديم
يا شاعر النبرة السمراء يحملها   الى الخلود جناح ليس ينهزم
غمست قلبك في المأساة فانسكبت   نعمى تضيء رحاب البؤس .. تنتقم
نحن العطاش وتسقي الأرض زفرتنا   ويعبر الطيف لاشكوى ولا ندم
من شهقة الكلمات الحمر من دمنا   تخضر يا بدر ، تحيا ، تورق القمم

حلب – سليمان العيسى

# اعترف بهم ولا احبهم

بقلم المحامي : نجاة قصاب حسن

بيني وبين الشعر الحديث ، مثل ما بيني وبين الفن الحديث ، علاقة فيها تفاهم وليس فيها تعاطف • فان أفهم — فيما أعتقد — لماذا نبت هذا الجيل من الفنانين والشعراء ولماذا اتخذوا هذه الاتجاهات التي بدأت تنتشر وتستفحل ، ولكنني لا أثق بأن لها مستقبلا باهرا • وقد تجنبت فيما مضى أي خوض في هذا الموضوع ، في المجال العلني ، لأنني أؤمن بحرية التعبير ، وبأن للناس أن يصنعوا ما يشاؤون ، وأن المتذوق يظل حرا هو الآخر في أن يعجب بما يقرأ من جديد أو يقلب شفته ويقلب الصفحة أيضا • على انني وجدتني اليوم أمام حاجة الى أن أقول رأيي — كمتذوق لا كصاحب حرفة — ومن يمنعني ، ألست حرا أنا الآخر في أن أقول كلمتي بصراحة ؟

**١ — المسألة الاولى : حتمية ظهور المذاهب الجديدة**

قلت ان بيني وبين المذاهب الجديدة في الفن والادب علاقة تفاهم أو فهم ، وعليّ أن أوضح • ففي رأيي أن هذه المذاهب لم يكن لها بد من أن تنشأ ، أولا • ولم يكن لها بد من ان تنشأ في هذا العصر بالذات ثانيا • وبعبارة أخرى ، ما كان يمكن — ولا يمكن — ألا ينشأ هذا التيار من الشعر الحديث والفن الحديث حتى ولو جهل الناس في بلدنا ما يجري في العالم • كان لا بد من أن يكسر الرسام قيد الشكل والخط ، والشاعر قيد الوزن والقافية ، والموسيقي قيد التناسق ، والمسرحي قواعد وحدة الزمن والمكان والحادثة والمشهد الواقعي • ان الفنانين والشعراء الحديثين ابناء هذا العصر ، ابناء صادقون له ، تعبيرهم عن روح العصر في منتهى الصدق والدقة ، بل لعلهم أصدق من جميع الأدباء والفنانين ذوي الاتجاهات التقليدية • وانا معهم — حين يتعلق الامر بالشعر مثلا ، اذا قالوا بأن عصر الشنفري وابي تمام وابن زيدون غير عصرنا ، وأن قضايا أيامنا ومجتمعاتنا لا تتسع لها قوالب المعنى والمبنى القديمين • وأنا معهم ، حين يتعلق الامر بالرسم مثلا ، اذا قالوا ان الخط والشكل الواقعيين صارا أقرب الى الصورة الشمسية ، وأن خداع البصر الذي نرى من خلاله هذه الاشكال والالوان يخفي وراءه حقائق أعمق ، ان لم تمتد اليها عين الفن وبصيرته ، وان لم تعالجها يده باسلوب ثوري كمحتواها الثوري ، عجز عن أن تكون أداته في مستوى القضية •

أفهم هذا ، واحاول بيني وبين نفسي تفسيره • فالفنان — رساما او شاعرا او موسيقيا أو مؤلفا مسرحيا — يتطور اسلوبه تبعا لتطور عنصرين اساسيين : ادراكه الكون وذاته كجزء من الكون ، ووسيلته في التعبير عن هذا الادراك •

فالادراك للكون تقدم منذ عصر النقش الساذج على الحجر في الكهوف الابتدائية ، حتى بلغ أيام الاغريق يوم قسموا عناصر الطبيعة الى أربعة هي

التراب والماء والنار والهواء لاغير ، ثم بلغ ايام النهضة يوم اكتملت للناس معرفة ظاهر الطبيعة ، ثم بلغ أيام فتوحات العلم يوم رأوا عناصر الطبيعة نيفا وتسعين ، ثم بلغ أيام الذرة يوم اكتشف الانسان أن الفرق بين الفحم والذهب فارق في الكم ، وان الطبيعة مهما اختلفت موادها فهي ترجع الى وحدة اساسية هي الذرة ، أي نواة حولها كهارب مختلفة العدد والتسارع .

ووسيلة الناس في التعبير تقدمت ، فاللغة ارتقت ولانت وغنيت وتمازجت لغة قوم بلغة الآخرين ، والموسيقا تعددت آلاتها وبراتها وقدراتها وقواعد التناسق فيها وامكان التأليف والعزف البوليفونيين القائمين على تمازج الاصوات لا انفرادها ، والتصوير والتصوير تقدمت وسائله وألوانه وآفاقه ، ومثل ذلك يقال عن كل ألوان الفنون .

انه تطور طبيعي ، متقدم ، صاعد ، يحمل حتميته في ثناياه ، ولا يمكن معه أن يسبق عصر من الادراك عصرا ، ولا شكل من الوسائل شكلا أسبق . وكما ان الشنفرى لا يمكن ان يعيش – كشنفري – في أيامنا هذه ، فكذلك لا يمكن لشاعر من المحدثين المتمردين على الوزن والقافية والقالب القديم أن يعيش في عصر الجاهلية .

ان العصر الذي شهد كمال المعرفة الظاهرية للاشياء ، رأى رافائيل وميكلانجلو ورامبرانت في التصوير ، وباخ في الموسيقا ، وراسين وكورنيل وموليير وشكسبير في الشعر والمسرح .

وعصر الرومانسيين الذي شهد نفوذ الانسان الى ما وراء الظاهر المكتمل ، الى الاعماق الانسانية ، تلاقى فيه بتهوفن وشوبان بصاند وموسيه ، وفرويد بدوستويفسكي ، والانطباعيون في الرسم بكل اولئك .

والعصر الحديث ، الذي طالت فيه يد الانسان بالآلة ، وامتد بصر الانسان بالمجهر والمنظار فصار يرى المتناهى في البعد والمتناهي في الضآلة ، وعرف فيه الانسان وحدة الكون المستترة وراء حجاب التنوع والتبدل في الظاهر ، ورأى أن الخط ضلال ثقيل ، والشكل خداع بصر تكشف الاشعة زيفه ، وأن الخط المنحني مجموعة خطوط مستقيمة ، وأن السطح المنحني مجموع سطوح مستقيمة متكسره ، وأن من وراء الصدق كذبا ورياء ومن وراء الدماثة ذئبا يعوي ومن وراء العفة شبقا مكبوتا يكاد يتفجر ، عند ذلك كله تمرد الرسام على الخط فحطمه ، وعلى الشكل ففجره ونثر شظاياه ، وولدت الاتجاهات السوريالية والتكعيبية والوحشية والبدائية والتجريدية كرد فعل طبيعي في الرسم على مظاهر الطبيعة والمجتمع والانسان ، مظاهرها الخادعة ، وكمحاولة لرد الامور الى نصابها ، الى في التعبير عنها .

والموسيقى اطرّح الانسجام والتوافق ليصدم الاعصاب وينبه القلوب والمشاعر عن طريق التنافر ، والشاعر رمى بقيود الجمال الموسيقي والايقاعي ، أي بالوزن والقافية والتزاوج المألوف بين الكلمات والمعاني ، على كومة قمامة رآها ، ومضى يطلق العنان لمعانٍ لم تسمع بها اذن ، معانٍ من الثورة التي لم تعد ترضى أن تكون كظيمة . وحتى في المسرح ، وجدنا المسرح الذي يقدم موليير في ثياب عصرية ، ويقدم روميو وجوليت في قصة عبيدية موسيقاها جاز ، وينبه المتفرج في كل ثانية كيلا يستغرق في حلم القصة التي يراها ، كما فعل برخت .

انها الثورة ذاتها تشمل كل من يعملون في الفنون والآداب . اللغة نفسها ، بقواعدها ، صارت سمجة ثقيلة على الفنان الذي يحس اشواقه ومشاعره أضخم من المعاجم وقيودها ، والالوان ذاتها صارت تثقله ، فأخذ يرسم بلا لون أحيانا ، أو بلون واحد ، أو من

الخرق البالية والتراب لوحات كاملة • والحجر البرونز لم يعودا يقولان شيئا للنحات فصار بصنع تماثيله من قطع الحديد العتيقة والاسلاك والخرق والجص في مجموعات متنافرة ، والكل يقول في نفسه ويقول لنا : وهل الحياة أكثر انسجاما من هذا ؟ أليس واقع الامور أقبح ؟ وهو تلوموننا على الصدق ؟ وهل تريدون أن يبقى الفن في حدود الزيف والكذب والاصطناع والقيود الرسمية المتوارثة ؟

بلى ، الفنانون والشعراء المتمردون أصدق في التعبير من الفنانين والشعراء الملتزمين قواعد الشكل والتناسق ، قلت اصدق في التعبير ، وعنيت : عن ذواتهم ، وعن قلق العصر الذي تمزقه التناقضات الحروب والمعارك والمخاوف من المستقبل •

ومع هذا ، اسائل نفسي : كيف لا اتعاطف معهم؟•

هل لانني ، من عصر آخر ؟ أم لانني آنس بالزيف؟ أم لأن القيود تناسب قدمي ويدي ولساني ؟

ثمة من يبتسم ويقول : الظاهر ان الامر كذلك •

أما أنا فأرد :

حتى ولو أكل القلق أعصابي ، وعشت ثورة الانسان، وطموحه ، وخوفه ، وأشواقه ، وكنت مع المطلق في صحبة مداها عمر من عذاب ، سأظل أنا ومئات الملايين من الناس : نبحث في الفن عن العزاء أيضا ، لا عن الحزن وحده • نطلب في الشعر موسيقاه المريحة ونغمة الآسر ، لا لاثارته وحدها • نحب المشاعر الناعمة ، المنسجمة المتناسقة ، الحلوة •

ثورة الانسان الحديث ، وقلقه وتمرده ، وخوفه ، وشقاؤه بما أصبح يعرف من زيف المظاهر بعد اكتناه حقائق الاشياء ، ليست غاية في ذاتها • انها المعبر الى حياة نطمح اليها ، حياة هادئة مطمئنة ناعمة آمنة رخية لاتعرف التناقض ، ونحب منذ الآن أن يعطينا الفن صورة المطامح الى جانب الصورة الاخرى •

لم يصور الله شقاء الحياة الدنيا الا ومعها نعيم الجنة المقيم • البشرية منذ وعت نفسها تصنع الى جانب التعاسة في أعنف أشكالها ، السعادة في ألطف الصور • فاذا كان حتما ان يكون فن القرن العشرين صورة للقلق والتمرد والثورة والغضب ، فانه حتم أن تكون مشاعر الناس في القرن العشرين أسرع طموحا الى الهدوء والنعومة والسعادة والرضا •

أجل اعتقد بأن الفن الحديث أقرب الى صورة المجتمع في القرن العشرين ، من الناحية الحركية ، الديناميكية ، غير أني أومن ، بالمقدار نفسه ، بأن الفن الأقرب الى الناس ، هو الاقرب الى احلامهم : الفن الذي يعطيهم الجمال والسعادة والتناسق والمشاعر الحلوة •

لهذا أفهم الفن الحديث ، والشعر الحديث ، ولا اتعاطف معه •

على ان ما قلته حتى الآن لا يزيد على أنه عرض عام لموقف الانسان المدرك لمشكلة العصر ( من وجهة نظر المتذوق لا الفنان ) • ولكن القضية لها وجوه أخرى تتصل بقيم الجمال • فاذا كانت المسألة الاولى التي طرحتها هي حتمية ظهور المذاهب الجديدة ، فالمسألة الثانية التي آمل أن أطرحها هي : هل وصل الفنان الحديث الى الصدق الحقيقي ، في تمرده على الكذب والزيف ؟ والمسألة الاخيرة التي يجب أن تطرح هي : هل الفن الحديث له المستقبل ، وله الخلود كقيمة جمالية ، أم انه سيكون للدارسين من الاجيال المقبلة ، مجرد مرحلة من التعبير الفظ غير الجميل ، عن واقع هو الآخر فظ غير جميل ؟••

وآمل أن نلتقي مع الجواب في العدد القادم •

نجاة قصاب حسن

# وداع

من شعر
عمر ابو ريشة

**كانت تخجل كلما مر بها**
**فأوقفها مرة .**
**ورد اليها رسائلها ...**

قفي ! لا تخجلي مني — فما أشقاك أشقاني

كلانا مرَّ بالنعمى ! — مرور المتعب الواني

وغادرها كومض الشوق — في أحداق سكران !

* * *

قفي ! لن تسمعي مني — عتاب المدنف العاني

فبعد اليوم لن أسأل — عن كأسي وندماني

خذي ، ما سطَّرت كفاكِ — من وجد وأشجان

صحائف طالما هزت — بوحي منك الحاني

خلعت بها على قدميك — حلم العالم الفاني !

* * *

لننسى الأمس ، ولنسدل — عليه ذيلَ نسيان

فإن ابصرتني ، ابتسمي — وحييني بتحنان

وسيري سيرَ حالمةٍ — وقولي .. كان يهواني

# حادثة سرقة

قصة بقلم : شوقي بغدادي

وقعت في حينا حادثة سرقة أتيح لي فيها أن أكون الشاهد الاساسي والحكم الفصل واليكم الظروف التي حدثت فيها .

يجب هنا أن أعود عاما الى الوراء يوم لاحظت أن بين صغار الحي الذين يلعبون تحت نافذتي كل يوم وجها جديدا لم أره من قبل . كان الوجه لفتاة صغيرة نحيلة في التاسعة أو العاشرة من عمرها ، كانت تهوم باستمرار في شارعنا والشوارع المجاورة مما يدل على أن الفتاة لاتذهب الى المدرسة كأترابها في العمر ، وأنها من أسرة مدقعة في الفقر ، ذلك أن الفستان البني الذي لا أذكر أنها غيرته الا أيام البرد كان طويلا لايرتفع عن الارض كثيرا ، وواسعا يتهدل فوق جسدها الناحل ، ولا يستبعد أن يكون صدقة حصلت عليها البنت الصغيرة ولم تجد من يقصره لها حسب الزي الشائع للصغار ، ويشذ به على قدها ، فلبسته كما هو ، وكانت سعيدة به هانئة لانها لم تبلغ بعد السن التي تفهم فيها الأنثى سر « الموضة » السائدة ومعنى التخلف عنها .

كانت سمراء ، غامقة اللون ، شعثاء الشعر ، أشبه بالخادمات اللواتي يؤتى بهن من أطراف البادية أو من قرى الحدود الجنوبية ، ولقد صح ظني هذا يوم سألت عنها السمان المجاور :

ــ من هذه (الحسن الصبي) الذي لا يفارق الشارع ... هل هي خادمة ؟!

فأجابني أنها ليست خادمة بل هي ابنة رجل فقير لايعرف أصله سوى أن لهجته في الحديث جنوبية بدوية وفد الى الحي منذ أشهر وهو يقطن مع زوجه وأولاده الصغار في غرفة من بيت عربي يتقاسمه عدد من الأسر الفقيرة وعمله بائع متجول للسكاكر والبزر والعلكة وعلب الكبريت وغيرها ..

قلت لجارنا السمان ساعة سمعت منه هذه المعلومات ــ فقد كان مغرما بجمع المعلومات حول جميع سكان الحي ــ قلت له :

ــ ولماذا لاتشتغل خادمة مادام أبوها فقيرا الى هذا الحد ؟.. فقال السمان على الفور :

ــ هذا هو نفس السؤال الذي طرحته على الأب قبل أيام فهل تعرف ماذا قال لي .. بان عليه الزعل بشكل رسمي ثم أجابني محتدا : نحن ما في عندنا بنات خدامات ..

كانت تلك هي المرة الاولى التي تلفت فيها البنت نظري فأسأل عنها ، وأعرف ما أعرف : وصار طبيعيا بعد ذلك أن أجلس الى النافذة وحدي أو مع أحد أهل البيت تتفرج على الطريق ونعلق على أحداثه ، وأن تكون « سعدى » ــ وهو اسم الفتاة الصغيرة كما أخبرت ــ موضوعا طريفا لتعليقاتنا بمنظرها الفريد ، ولهوها المتصل مع الصبيان بصورة خاصة .

لم يكن سهلا على سعدى كما لاحظنا جميعا أن تدخل عالم الذكور بلا ممانعة ، ففي تلك السن يبدأ

الصبيان باعتبار اللعب مع البنات حدثا مخجلا يتهربون منه ، غير أنها كانت تدأب على التحويم حولهم في الحاح وجرأة حتى ألفوا وجودها بينهم ولعلهم نسوا لفترة أنها من الجنس الآخر ، واعتبروها كما كانت توحي بتصرفاتها صبيا آخر في المجموعة • غير أن الصعوبة الرئيسية التي كانت تعترض عليها السبيل الى هذا العالم الذي كانت تحبه هو كونها قذرة لا تعنى بنظافتها وترجيل شعرها كما تصنع بنات المدارس مما كان يدفع بعض الصبيان الى الاشمئزاز منها والاعلان عن تقززهم هذا دون تحرج ، وبمختلف الوسائل حتى درجة السباب والشتائم •

كنت أسمع واضحا صراخ الاولاد بها ، أو رضاهم عنها ، وكانت سعدى لا تيأس ، فاذا لم تستطع اختراق النطاق الذي يضربونه أحيانا حولهم فهي تكتفي بالاستناد الى الحائط والتفرج عليهم حتى تحين الفرصة •

وكان أكثر أعدائها لجاجة في خصومته ولد اسمه حليم في عمرها تقريبا يقطن في الطابق الثالث من بنايتنا أبوه تاجر ميسور ، واخوته الصغار نموذج في النظافة والترتيب • وكان حليم وسيما ، أنيقا ، والاصح أن نقول أكثر أولاد الحي وسامة وأناقة لا يتخلى عن أناقته حتى وقت اللعب • كان ابن طبقته حقا !• ولكنه كان طفلا قبل كل شيء فلا بد أن يلعب، ولم يكن من السهل عليه أن يجد رفاقا في مستواه دائما فكنت تراه يهبط أحيانا الى الشارع في ثقة الشخص الذي يعرف منزلته ، فلا يتقدم الى حلقة الصبيان حتى يلحوا في دعوته ، فاذا انخرط بينهم تزعمهم في دقائق ، وصار من الملاحظ أخيرا أن سعدى تظل منبوذة خارج نطاقهم المضروب دونها يوم يكون حليم زعيم الجماعة ، وأنه لم يكن يتساهل في هذه القضية أبدا •

كنت جالسا أمام الدكان مرة حين سمعت هذا الحوار الشيق بين حليم ورفاقه • كان الفتى الانيق يقول بصوت مسموع :

ـ هذه بنت جربانة •• هل تريدون أن تعديكم بمرضها ؟• فأجاب أحدهم :

ـ حرام •• البنت تحبك جدا وتدافع عن سيرتك باستمرار كلما كنت غائبا ، وهي ليست جربانة كما تقول ولكنها وسخة فقط ••

فأصر حليم على اتهامه فلم أفهم الدافع الذي كان يحفزه الى هذا التهجم أكان خوفا من العدوى أو تقززا فطريا حيال بنت لا تشبه غيرها من البنات النظيفات المرتبات اللواتي يعشن معه • أضف الى ذلك كونها بنتا في مجمع من الصبيان لم يجتازوا بعد عتبة المعرفة الا انهم كانوا في غريزتهم يخجلون من الانثى •

علق هذا الحوار في ذهني ، وبرزت لي منه عبارة معينة حين رأيت هذا المشهد التالي بعد أيام • كانوا يركضون الواحد وراء الآخر وبينهم طابة صغيرة تتلقفها الايدي وسعدى جالسة على درج في مدخل بناية مكشوفة تراقب اللعبة باهتمام شديد • وفجأة تعثرت قدم حليم فتهاوى وسقط على الارض قريبا من الفتاة المذهولة فاذا بها على الفور تقفز من مكانها بحركة لاشعورية راكضة نحوه ثم تهم بالانحناء كي تساعده على الوقوف الا أن الفتى كان ذا كبرياء لا تشترى ولا تتنازل فهب واقفا وحده وهو يبعدها عنه بنفور واضح فلبثت مكانها واجمة لا تريم وقد نسيت أن تعود الى مجلسها فظلت واقفة هناك فترة ثم تسللت مبتعدة دون أن يشعر بها أحد •

حدث كل هذا بسرعة ، ولكنه لفت نظري بقوة ، وبعد أن تكررت أمثال هذه المشاهد لم أستغرب أن أسمع أختي الكبيرة تقول لي ذات يوم :

ـ هل يمكن أن تحب الفتاة في مثل هذه السن ؟•

كانت تقول ذلك وهي تنظر الى الشارع حيث كانت سعدى جالسة في مكانها تتفرج على الاولاد •

قلت :

ـ تقصدين تلك الفتاة الفقيرة • •

**قالت :**

ـ نعم ••

قلت :

ـ وماذا يدفعك الى هذا الاعتقاد ؟

فوصفت لي مشهدا شبيها بالمشهد الذي رأيته بنفسي قبل أيام ، فتذكرت عندئذ الحوار الذي سمعته يوم كنت جالسا أمام الدكان • وقفزت هذه الكلمة بالذات الى ذاكرتي : « البنت تحبك جدا وتدافع عن سيرتك باستمرار كلما كنت غائبا •• » تذكرت تلك العبارة التي لم تترك ظلا في مخيلتي وقتها سوى ما نسمع من كلمات المودة بين الصغار • ولكنني وأنا أسمع الى حديث أختي بدأت أفكر بشكل آخر وأتذكر عشرات المناظر التي رأيت ، والكلمات التي سمعت وأفسرها من جديد حسب مفهوم آخر • لماذا تبدو حقا الفتاة وادعة صامتة في حضوره ، بينما هي لاتتورع في غيابه عن أية لعبة ، أو كلمة ، أو شتيمة ••

منذ ذلك اليوم بدأت أنظر الى الاولاد بفضول وعين جديدة • لقد شرعت أتصور أنها قصة حب تلك التي أراقبها منذ أشهر دون أن أعبأ بها الا كما نعبأ بالمنظر المسلي يعبر تحت أنظارنا دون أن يترك من بعده ظلا أو أرثا •

بدأت ألاحظ فعلا شخصيتين مختلفتين للفتاة •• شخصية عابثة صاخبة لا تظهر الا يوم يكون الفتى حليم غائبا عن الشارع ، وشخصية وادعة هادئة مهذبة لا تبدو الا يوم يكون موجودا • وبدأت أفهم بشكل آخر معنى سكوت الفتاة على احتقار الفتى لها بالكلمات أو الحركات دون أن تحرك ساكنا للرد عليه مع أنها كانت مهابة الجانب لاتسكت لأحد ولا تصبر على ضيم ، وكثيرا ما كان صوتها يلعلع بالشتائم لانها أهينت أو ضربت وتدخل في عراك جسدي مع الصبيان كأي منهم ، فتشد هذا وترمي ذاك غير عابئة أنهم يشدون شعرها أحيانا بقسوة ويرمونها على الارض ، ويدوسونها بالارجل • كانت شجاعة لا تهاب ولكنني لم أسمعها أبدا ترفع صوتها بالشتيمة في حضوره ، وكان حليم الوحيد الذي تصبر على اهانته ولا تحرك ساكنا لدفعها • كان يجب أن نجد تفسيرا لهذه الظاهرة ويبدو أنني استرحت لهذا التفسير الذي أوحت لي به أختي الكبيرة التي كانت تراقب مثلي المشهد وتعلق عليه من حين لآخر •

وهكذا تغيرت نظرتي للفتاة والفتى ، فبدأت أحس بالطرافة في الموضوع ، وأصبر مدة أطول على مراقبة الاولاد •

ويوما بعد يوم صار كل أهل البيت مثلي في اهتمامهم بقصة الحب الطريفة التي كانت أحداثها تتلاحق تحت النافذة فيقص كل منا على الآخر ما شاهده وحده ، وكان لكل منا اجتهاده في أمر الفتى : هل كان يحس بتعلق الفتاة به أم لا ؟• وهل كان يضمر لها شيئا من المودة !••

كنا نتصور أحيانا أنه لا بد أن يدرك بالغريزة اهتمام الفتاة به اذا كانت تعبر عن تعلقها بأشكال مختلفة لاتفوت النظر ، ولكن ترى هل كان الغلام في مثل هذه السن قادرا على الفهم مثلنا نحن الكبار• كان واضحا أن العداء الصارخ القديم الذي يحمله لها لم يبق هو ذاته فلقد خفت حدته وصار ممكنا مثلا أن نسمعه أحيانا يتوجه اليها بالنداء صارخا :

ـ يابنت •• دقي على بيت الجيران •• وقعت الطابة عندهم ••

فتخف ملبية الامر في طاعة ما بعدها طاعة •• ثم يصير النداء بالاسم فيهتف بها :

ـ سعدى •• اذهبي الى هناك • أو : « ابتعدي

يا سعدى عن هذا المكان .. » ..

فتستجيب سعدى للصوت أي استجابة ، وتبتعد عن المكان الذي لايريدها فيه ، كأن العداء قد تحول الى نوع من الاتفاق الضمني أن يكف الفتى عن توجيه الاهانة لها ، وأن تكف هي بالمقابل عن التدخل في شؤون عالمه الصغير المغلق دونها . ويبدو أنها في النهاية لم تعد تعبأ كثيرا بالولوج الى عالمه كعضوة عاملة فيه ، اذ صار يكفيها أن تراه مهادنا اياها ، مناديا لها بعض الاحيان بالاسم فتقبع متحفزة تنظر اليه في وله واستغراق ، مستعدة للاستجابة الى أية خدمة قد يخطر له أن يطلبها منها ، شبيهة جدا بالكلب الوفي الذي يتربص ويوصوص دون كلل حول صاحبه القاسي طمعا بنظرة عطف ، وأملا بخدمة يؤديها له ..

كانت الامور قد وصلت الى هذا الحد عندما سمعت من السمان أن والد الفتاة سيترك الحي بعد أيام ، وأن الحي سيرتاح من هذه البنت المسترجلة — على حد قوله — وكان من الممكن أن ترحل سعدى مع أهلها دون ذيول وأن تظل الامور عند هذا الحد فتبقى للقصة طرافتها ونشوتها لولا تلك الحادثة التي وقعت وكنت فيها الشاهد والحكم .

كان الوقت من تلك الايام التي تسبق افتتاح المدارس وتتميز بنشاط خاص اذ يكون الاولاد قد عادوا جميعا من مصايفهم وراحوا يحتشدون استعدادا لليوم المرتقب فترى الشوارع مكتظة بهم يلعبون قرب منازلهم أو أبعد بقليل .

كان الوقت أصيلا وأولاد الحارة ناشطون في لعبة لم أفهم منها سوى الركض والقذف بالطابة على الظهور . ويبدو أن بعض الاولاد مثل حليم قد أحسوا بالدم يفور في عروقهم ، فخلعوا السترات التي أصرت أمهاتهم على اثقالهم بها خوف رطوبة المساء ، فخلعوها جانبا وعلقوها هنا وهناك كيفما اتفق .

كانت سعدى تراقب المشهد مثلي وهي تتحرك في قلق من مكان الى آخر ولمحتها فجأة تقترب من سور أحد الاقبية القريبة ثم تقوم بحركة غريبة لم أنتبه لها أول الامر لولا أنها أعادتها مرة ثانية . كانت سترة حليم فوق السور الواطىء وقد تدلى طرفها ، فاذا بالفتاة تمد يدها داخل الجيب المفتوح المتدلي ثم تسحبها بسرعة وتختفي من المكان في مثل لمح البرق .

كان من الممكن ألا ألمح هذه الحركة السريعة لو لم أكن متعمدا تفحص الفتاة وأنا أتصور شعورها اذ تعرف أن أهلها سيغادرون الحي الى غير رجعة ، وأنها لن ترى هذا الجو الأليف بعد الآن . ولكنني رأيت كل شيء وأدركت أن الفتاة قد سرقت شيئا ما من جيب السترة المتدلية غير أنني لم أستطع تبينه على البعد . ولكن سرعان ما انتهت اللعبة ، فتفقد حليم جيبه مرتين ثم هتف بصوت مسموع :

— الجزدان .. أين الجزدان ؟..

لقد كان اذن جزدانا عاديا ، وكانت سعدى سارقة عادية .. وبينما الاولاد يفتشون هنا وهناك خطر لأحدهم أن يقول :

— لقد كانت سعدى هنا قبل قليل واقفة قرب الحائط ..

وراح الجميع يفتشون عن سعدى التي انشقت الارض وابتلعتها . ولا أدري ما الدافع الذي حفزني الى النزول من البيت والاقتراب من الاولاد الحائرين فأسألهم عن سعدى هل وجدوها ، فينظرون الي حانقين قائلين أنها مختفية عن الانظار حتى البيت الذي يقطن أهلها فيه ، فخطر لي أن أسألهم عن هذا البيت ، فاذا بهم يشيرون نحو الارض الزراعية القريبة قائلين :

— هناك بيتهم .. بين البساتين ..

قلت للغلام المسروق :

— ماذا كان في جيبك يا حليم ؟..

قال : جزدان ..

قلت له : وهل كان فيه نقود ..

قال بعد تردد : لا .. فيه صور ..

قلت له : لا تعبأ اذن .. لقد شاهدت أنا الحادثة بنفسي وسترد لك الفتاة الجزدان حتما اذا لم يكن فيه نقود . فاذهبوا جميعا ولا يبق منكم أحد الا صاحب الجزدان ..

فتفرقوا بعد الحاح دون أن يبتعدوا وكان الوقت أول المساء فقلت لحليم :

ـ هل تعرف لها مخبأ غير بيتها ؟.

فنظر الي الفتى الوسيم الانيق مستغربا حانقا :

ـ ومن أين لي أن أعرف !.

قلت له :

ـ ستعود الى البيت حتما ، وربما عادت اليه الآن بعد ذهابكم فهلم بنا اليه لانه من غير المعقول أن تبقى خارج البيت ..

فتردد قليلا :

ـ يجب أن أخبر أمي أولا ..

ثم تركني وصعد الى الطابق الثالث فاذا بأحد اخوته الكبار وكان فتى في السابعة عشرة من عمره يأتي معه ونذهب معا في اتجاه البساتين .

لم تكن بساتين بالمعنى الصحيح اذ لم يكن ثمة أشجار في تلك المنطقة سوى القليل والاراضي الباقية دون عمران قليلة ومزروعة كلها ، وكان ثمة درب ضيق يخترقها وتقوم على ضفتيه بعض البيوت القديمة التي كانت تتناقض في مظهرها مع الحي الحديث القريب كل التناقض .

فتح لنا الباب رجل نحيل قاسي الملامح يلبس معطفا باليا فوق ثياب منزلية ، ما كدنا نسأله عن أب سعدى حتى أجاب : أنا هو .. فشرحت له القصة ولكنني أهملت منها دون أن أشعر جانبي الشخصي وأنني شاهدت السرقة بنفسي . اكتفيت باتهام عام . وسرنا أن الأب احتد فجأة ثم دخل الى البيت على الفور وعاد يجر ابنته أمامه من يدها فلم تكن ترانا حتى شحب لونها بشكل ملحوظ وانتابتني على الاثر موجة من الشفقة ، فتمنيت لو أنني لم أحضر ، أو أن أساعدها بشكل ما ، ومهما مر الزمن فلن أنسى نوع النظرة التي تطلعت بها الفتاة الى حليم . كان وجهها مضرجا بحمرة غريبة وكان في نظرتها كل ما في نظرات النساء الوالهات المذنبات من خوف ، واعتذار ، وعبادة . ولم يلبث الأب أن سأل ابنته أمامنا بلهجة تهديد مخيفة :

ـ هل سرقت لأحد من هؤلاء شيئا ؟..

فهزت رأسها في حركة انكار دون أن تنبس بكلمة ، فتصورت أن الرعب قد شل لسانها ولكنها لم تلبث رغم موقفها الصعب أن قالت :

ـ أنا ما سرقت شيء .. فالتفت الفتى الصغير اليها محتدا هاتفا :

ـ ولكن جارنا شاهدك بنفسه تمدين يدك الى السترة !.. فتطلع الجميع صوبي ، وبشكل خاص كانت نظرة الأب أكثر النظرات نفاذا الى قلبي . لقد كان واضحا أنه سيعتبر كلمتي هي الفصل في الموضوع ، فتصورت أن أبا من هذا النوع مستعد أن يؤذي ابنته بالضرب اذا أصرت على الانكار .

كان الباب مواربا لم يستطع أن يخفي الفقر المختبىء وراءه ، ونحن أمام الدار وحولنا المساء ، وكل مايوحي بالهدوء والسكينة لولا المذلة الصارخة أمام عيوني ، وفي لمح البصر رفعت سعدى رأسها وخطفت نظرة الى وجهي كانت كافية كي أفهم الضراعة الكامنة في عينيها . فكيف كان من الممكن أن أخذل هذه العاشقة الصغيرة التي لم تصنع شيئا سوى أنها سرقت صورة محبوبها .

قلت بعد تردد :

ـ الواقع أنني لم أشاهدها بنفسي ، ولكنني لمحتها واقفة هناك ، وليس من الضروري طبعا أن تكون هي السارقة ، والافضل أن تعترف هي بالسرقة لا أن تتهمها ظلما ..

فصرخ الفتى الصغير الجاهل :

ـ ولكن من يمد يده الى جيب السترة غيرها ..
هي السارقة وحدها ..

فنظر اليه الأب في غيظ مكتوم كأن الاهانةوجهت اليه شخصيا ، وبحركة سريعة رأيناه يمسك شعر ابنته بجماع يـده اليسرى ويشده في جنون وعصبية ثـم يصفعها باليمنى عدة صفعات وهو يصرخ :

ـ سوف أميتك اذا لم تعترفي بالحقيقة .. هـل سرقت شيئا ؟..

حدث كل هذا بسرعة ، ولم أجد بدا من التدخل لانقاذ الفتاة الصغيرة غير أن الأب أبعـدني بحـركة عدائية ، ثم عاد الى ابنته يصفعها وهي رافعة يديهـا تحمي وجهها وتبكي بصوت مختنـق قائلة في عنـاد غريب :

ـ ما سرقت شيئا .. ما سرقت شيئا ..

كان المنظر مؤثرا ، فسيطر علينا الوجوم ، واقترحت أن ننسحب ، فوافق الأخ الاكبر وهو يقول منفعـلا بما يرى :

ـ لا تضربها كفى .. مسألة لاتهم .. انها ليست سرقة ذات شأن ..

ولكن ما أن هممنا بالابتعاد حتى رأينا الأب يلتفت نحونا قائلا :

ـ اذا كان لكم شيء مع البنت فسأحصله لكـم حتما .. فقلت له :

ـ ليس لنا معها شيء .. لاتضربها وكفى .. نحن ذاهبون .. انه مجرد شك لا أكثر ..

وفجأة خطر لي أن أطرح عليه هذا السؤال :

ـ صحيح أنكم ستغادرون هذا البيت بعدأيام..

فنظر الي مدهوشا أن أنقل الموضوع الى هذا الجانب غير المنتظر ولكنه أجاب في جفاء :

ـ نعم « مسافرين للبلد » .

ولم أسأله أي بلد ، فلم يكـن مناسبا أن أتبسط معه وهو في مثل هذه الحال من الجفاء .

عدنا عبر الطريق الضيقة وما يزال يرن في أذني نشيج الفتاة المكتوم وهي تهتف في عناد أنها بريئـة لم تسرق . انها سارقة ، ولقد رأيتها بنفسي فلماذا تصر على الانكار ؟.. ألأنها لا تريد اثبات التهمة عليها ، أم لان الاحتفاظ بالصورة الموجـودة في المحفظة كـان بالنسبة لها قضية حياة أو موت ؟..

كنا صامتين ونحن في طريق العودة وكان حليـم نفسه صامتا فسألته :

ـ ما ذا كان يوجد حقيقة في الجزدان ؟

فلم يجب على الفور . كان حانقا علي بسبب خذلاني اياه امام الأب . قلت له مرة أخرى :

ـ هل أنت حانق علي أنني غيرت في كلامي ؟

فقـال :

ـ ألم تقل أنك شاهدتها بنفسك ؟

قلت :

ـ صحيح .. ولكن ما الفائدة .. انها مصرة كما يبدو على الاحتفاظ بالجزدان بأي ثمن وأبوها وحش ربما موتها من الضرب .. وبعد فماذا كان يوجد فيها غير الصور ..

فاعترض حليم على الفور :

ـ لم يكن فيها صور كثيرة .. صورة واحـدة تذكارية لي في الرحلة .. وليس عندي غيرها ..

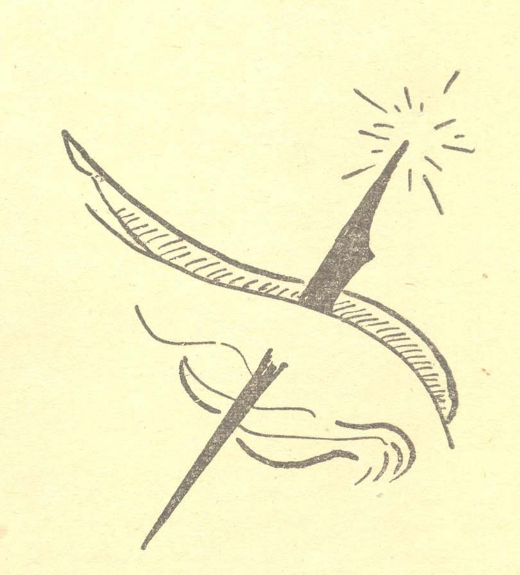
ثم أضاف متحسرا :

ـ يا للسارقة الحقيرة .. ما ذا تستفيد من هـذه الصورة ؟!..

كان يمشي أمامي عندما قال هذه الجملة ، فنظرت اليه ، وكدت أهم أن أشرح له ماذا تعني هذه الصورة بالنسبة لها وهي موشكة أن تغادر الحي الى غير رجعة ولكنني أمسكت عن الكلام ، وابتسمت لنفسي ..

لم تظهر سعدى في الحي بعـد تلك الحـادثة ، وعرفت بعد أيام أنهم رحلوا عن الحي دون أن يسترد حليم جزدانه . وكنت أصادفه أحيانا قريبا من البيت ، فينظر لي نظرة غريبة كأنه ما يزال حانقا علي لتضامني مع الفتاة السارقة ، فأهم أن أحدثه ثم أمسك من جديد عن الكلام .. فمن أين له أن يفهم ماذا يستفيد الانسان من صورة ، وماذا يعني احتفاظه بها رغم كل العذاب ..

شوقي بغدادي



## اعلان

تعلن أمانة العاصمة ان مناقصة تقديم بدلات عمل زرقاء ( افرول ) قد ارجئت الى السـاعـة الثانية عشر من يوم الاثنين الواقع في الثـامن من شباط ١٩٦٥ .

فعلى من يرغب الاشتراك في هـذه المزايدة الحضور في الوقت المحدد مستصحبا معه التأمين الموقت ، ويمكن الاطلاع على دفتر الشروط لدى ديوان شعبة العقود خلال اوقات الدوام الرسمي من كل يوم .

أمين العاصمة

## اعـادة اعـلان مناقصة

بالنظر للسـرعة الكلية ، تعلـن مـديرية مواصلات دمشق ، بأنهـا ستجري في السـاعـة العاشرة من يوم الاثنين الواقع في ١٩٦٥/٢/٨ مناقصة على طريقة الظرف المختوم لاجل تزفيت الطريق المؤدي الى مستشفى السل بحرستا .

| | |
|---|---|
| الكشف التقديري | ٧٠٠٠ ل.س |
| التأمينـات | ٣٠٠ ل.س |
| مدة العمل | ٣٠ يوما |

جزاء التأخير ٥ ل.س عن كل يوم تأخير

الاضبارة رهن اطلاع المتعهدين في مديرية الطرق والمعابر وفي مديرية المواصلات بدمشق خلال ساعات الدوام الرسمي .

دمشق في ١٩٦٥/١/٣١

مدير مواصلات دمشق

# انا الذاتية

لا تدهش مني ومن تصرفاتي ... لماذا تحدق بي .. ايعجبك جسدي الممتلىء وشعري الثائر ..ايعجبك سكري وعربدتي والكأس في يدي ، لا اني لست سكرى وهذا خارج عن اردتي ، ما ذنبي ان كان الخمر لا يسكرني ، اعرفت ، اني اريد السكر والعربدة والضياع ولكن الخمر الذي احتسيه لا يؤثر بي دعني أثرثر كما أريد ... استمع الي أو صم اذنيك واذهب الى عملك وقيادتك ومركزك .. ودعني في هذه الغرفه السحرية ... عفوا أريد أن أتمدد ، أن أخلع ثيابي ، لا تقل اني سكرى لاني أخلع ثيابي ولكني اصطنع السكر فهذا يرضي الرجل وانا اتيت معك لارضيك .. اسمع ان بائعة الهوى هي التي تخلع ثيابها أمام الرجل دون وجل ، اما الآنسة المحترمة لا تفعل هذا ، الآنسة التي ترتدي الثياب المحتشمة والياقة الصغيرة والشعر المرفوع باناقة محببة وتثير الاحترام بنظراتها البريئة وصمتها العميق وخطواتها المتزنة ونقاشها العقلي . وهذا أنا ! أنا كالآخرين ، ولكن لا هنا الامر يختلف اني سافرت معك لارضيك ، لاجعلك تتعلق بي ، لانطلق معلك ، لاتصرف كبائعة الهوى وما هو الفرق بيننا انها تفعل ما تفعله لتبدع بمهنة ارادتها ، « استغفر الله هي لم تردها بل ارادها لها القدر وهي رضخت مرغمة لهذا القدر » ، اما نحن فاننا نصنع قدرنا بايدينا الفرق بسيط لاننا أقوياء ، ولكن مامعنى هذه القوة ، بل ما معنى هذه المقارنة لقد سافرت معك بارادتي سافرت وانا بتمام ووعي وادراكي ، سافرت معك بل سافرت اليك واخترت الزمان والمكان ولماذا سافرت لاكون تلك الآنسة المهذبة لا هذا وهم لقد تركت تلك الآنسة في دمشق بل أمام الباب وستبقى حبيسة خطواتها الى ان اغادر انا هذه الغرفة ، اما هنا ووراء الجدران المغلقة فاني وجدت لارضيك وارضي نفسي واكون أنا أنا الحقيقية دون رياء او نفاق أو خوف ولاكون تلك المحترفة ولكن بادرتها ، أراك تنظر الي ولا تصدق ، أو تظن اني أمثل عليك كلا والف كلا لاني أكره الكذب واحتقر النفاق ، فأنا معك الآن تلك الفتاة المحترفة ولكن بارادتها ، أنا أردت هذا وأنت أردته لي بالطبع . لذا اليك ثيابي كل ثيابي ، أيعجبك جسدي انه رائع هكذا قال لي صديقي الفنان الذي رسمني باكثر من وضع رسم حتى أدق الاجزاء وأمنعها وقال بالحرف الواحد ، هنا تكمن الكلية المطلقة ، هنا الخلود والابدية ، عفوا ليس صديقي الفنان الذي قال ذلك وانما الفيلسوف الذي كنت في غرفته المنعزلة وانه باشارة مني احضر صديقه الفنان ليخلد جمالي وانا بين الاثنين .... يا له من يوم رائع ، الغرفة دافئة جدا والموقد كأنه جهنم . وانا عارية اتقلب على السرير العريض هذا يرسمني وذاك يرقبني ويتأملني لاني أمثل بالنسبة اليه الابدية اني الحقيقة كما هي .... بربك لا تحدق بي فالصورة لا تزال معلقة في غرفة الفيلسوف الذي يقول عنه الجميع انه نبي انما هو رجل يحسن الاختيار لذا اختارني .

لماذا احدثك ؟ ايهمك الحديث طبعا لا ، ولكني أريد الكلام وبعد دقائق اتخلى عن جميع صوري وافكاري واعيش لك فدعني أهذي قليلا ... ان الآنسة المحترمة التي كنتها منذ مدة في الخارج قلقة من أجلي ولكنها بعد فترة ستألف وقفتها التي اعتادتها وتغرق في فكرة فلسفية عميقة أو صورة اجتماعية لا تؤمن بها وتنساني لاعيش الواقع واللحظة الحاضرة ، أعيشها غنية دافئة، عنيفة متموجة ... لذا كل رجل أكون معه يظن اني أحبه . واني بالفعل أحبه واحب وجودي قربه يتحدث ويتأمل ويتحرك ويفكر . يداعبني فانتشي وتتعمق كلماته في روحي واني مستعدة ان اعيد على مسمعك وبنبرتك أنت كل كلمة أودعتها اذني لان هذا محفور بأغوار ذاتي أما عندما أتركك يبقى كل شيء حبيس البلد والمتاع ومن يدري قد اعود اليها او لا أعود ... ماذا تسمي هذا هراء ، هناك من يقول انها فلسفة ، وفي الحقيقة انها مجرد صدق في التعبير، والرجل كل رجل أصادفه يفكر اني أحبه وسأبقى معه الى الابد ويطلب وعودا ومواثيق وافكر أأملك أنا المستقبل لاقدمه له ... أأملك لحظة من أيامي المقبلة لاتحكم بها ... أأعرف ذلك المجهول لامنحه الى غيري ... الانسان يتصرف بما يملك ويعرف أما الاشياء التي لاحول ولا قوة له بها كيف يتحكم بها ، حتى أولئك الزوجات القديسات وقفن بين يدي الله واقسمن على رعاية أزواجهن كم زوجة خانت زوجها سرا وعلنا ، انها لم تخنه ساعة نامت او هربت مع غيره ، بل خانته ساعة اقسمت انها ستبقى معه الى الابد، لانها اعطت مواعيد خارجة عن قدرتها وارادتها وانا عندما أقول للرجل اني أحبه ولن أنساه واني سأعود اليه وأعود فعلا وأكون له كلية ولكني لا أستطيع أن أكون له مدى العمر ، يظن اني اكذب عليه ويطب مواثيق ووعودا ليجد هذه اللحظة بل ليجعلها تستمر . وهنا نبدأ بالمختلافنا ... ها اني بين يديك الآن بعرى الروحي والنفسي والفكري وانني في هذه اللحظة بل في هذا الجزء من الحظة ملكك لانني أملك هذه اللحظة فافعل بي ما تشاء أما بعد هذا الجزء من اللحظة بعد أن تخرج كلماتي من حنجرتي فالامر يختلف عندما أقول هذا يحدق بي الرجل كالابله ويقول لا أفهم مع اني بسيطة وعفوية ... فاقسم له بكل ما أملك واني أسأل الآن والسخرية ملء قلبي ما أملك، اني أملك هذه الومضة من الزمن فلا الماضي يحق لي ان أغيره بل قوى الارض مجتمعة لا تستطيع تغيره ولا المستقبل اعرفه ... أملك هذه اللحظة ، اقسم لك بها كما اقسمت مرارا دون ان يصدقني الرجل ، اني ما خنت رجلا عرفته ، بل كنت معه في شتى الاحوال والظروف محبة صادقة نقية مخلصة واعطيته خلاصة افكاري وروحي وضحيت بكل شيء بسبيل حبه ليس حبه هو بل حب الحب الذي يربطنا ، لاني أحب البقاء بين يدي الرجل، أحب انفاسه تلفح عنقي ونظراته تغمرني ويده تأخذني بقوة ولين وأفكاره تحلق في سمائي ، هنا وجودي الحقيقي وما عداه وهم وسراب اعبد اللحظة بين يديه واعبده كجزء من هذه اللحظة واخلص في العبادة والتقديس ، ولكن عندما يتركني فالامر يختلف اني أعبده كجزء من تلك اللحظة أما هو بعيد عنها فلا شأن لي معه ... يصبح كغيره من ملايين الملايين حولي ... اني مخلصة الى لحظة اثبادوجودي، الذي أشك به ولا شيء يثبت لي وجودي غير فنائي في عمل كبير واندثاري قرب رجل يستطيع انقاذي من ضياعي وتمزقي وانتشالي من بحري المتلاطم ، بحري الكئيب ... اني ذرة تائهة في صحراء واسعة والرجل وقرب الرجل ما اسعى اليه ... اني أعيش لتلك اللحظة اثناءها وأعيش على ذكراها في غيابها .. وماذنبي ان لم اجد الى الآن الانسان الذي يفهم هذا ... يعرف اني ضائعة ، تائهة ، غريبة تتقاذفني أمواج الكآبة ويغمرني بحر الضياع اسير بالضباب واتية في الدروب العتمة .. والرجل ... يعرف اني انثى تحسن

العطاء سخية ، مثيرة ، دافئة ، اما لماذا هي سخية وما معنى عطاءها وما تعاني ، هذا لم يعرفه أي انسان لذا انتقل حاملة اشلاء شقائي واضيع في ضباب الوجود وعتمة الدروب وأعمل وأعمل لاجد نفسي في مكاني لم اتقدم، وأقرأ وأقرأ لاجد رأسي فارغا، وأكتب وأكتب لالفي ورقتي بيضاء وأكذب وأكذب لاجد قلبي نقيا وأصدق وأصدق لارى من حولي يحملقون ويقولون صادقة قديسة ، واشرب واشرب لاجد نفسي في صحوة سرمدية ... لماذا أثرثر ... لماذا أقول هذا لك ... انها انفعالات تمور في قلبي ، لا تنظر الي هكذا ، بل انظر اغرقني في نظراتك علك تعرف ما بي ، عل هذه النظرات ترافقني عندها اتخلى عن حياتي والحق بك وأبقى قربك ، امر بشارع تمر فيه واعيش في بلدة تعيش فيها اني اريدك اريد ذاك القرب الذي حلمت به عمري قرب رجل أنا الحقه لا هو يلحقني ، لاني كرهت تلك المجموعة البشرية تتمسح على اقدامي باستمرار وتطلب مني أن اعطيها لاني أعيش بالعطاء وهي لا تعرف ماذا تأخذ ؟ ولا لماذا ؟ ولا كيف ؟ انها كالخراف لا تعرف ماذا تأكل ، ولا لماذا ، استغفر الله لان الخراف تعرف الاطعمة وتميزها ، انها كالآلة التي تبتلع كل مايقدم اليها ؟ وتلفظه بعد ثوان ، حتى الآلة تعرف المواد الخام وتقف ان تغيرت ، أما أولئك البشر فلا يمكن مقارنتهم بأي شيء في العالم لا تعجب من كلماتي فهي الحقيقة ، اني بأعماقي اكره الجميع ، لكذبهم واحتقارهم لانفسهم، أنهم يكذبون على الله والناس والدين والمجتمع والتقاليد ، ولماذا ؟ دعني اضحك ساخرة انهم يكذبون حبا بالكذب ولانهم يحتقرون انفسهم ولا يثقون بها انهم ضعفاء لا يريدون تحمل مسؤولية عملهم ... ان أحدهم يذهب الى غير زوجته بلا خوف من نفس أو ضمير لانه ليس له ضمير فيخافه وانما يخاف الزوجة ويكذب عليها بل يخاف تحمل تبعة أعماله وهي بنفس الوقت تخونه وتكذب فالجرم الاخلاقي ليس بفعله انما باظهاره ، فالكذب والخيانة والجريمة مسموح بها ما دامت مستترة أما اظهارها وتحمل مسؤوليتها فهو الجرم الذي لا يغتفر ، فأنا مثلا عاقلة متزنة بالنسبة للاخرين طبعا ، وان كنت أفعل ما يحلو لي وما أراه ينسجم مع تكويني ، ولكن يكفي ان يكون منظري محتشما وأنيقا ليحترمني الناس. وأنا أكون محترمة لا حبا في الاحترام أو رغبة في اوضاء الناس وانما لانني افرق بين الجد والعبث ، افرق بين أنا الذاتية التي تعطي وتنطلق وتعيش اعماقها وتخلص الى ساعاتها الحاضرة وبين أنا الآخرين التي تعيش لتخدم في الحقل المعاشي والاجتماعي ولا صلة تربط الانا بالاخرى ... المجتمع لا يحاسبني على سفري معك وهربي اليك وبقائي بين يديك عدة أيام لانه يضع نظارة على عينيه. أما اذا صادفني والدي أو جاري او أخي في مقهى بسيط اشرب فنجان قهوة مع زميلة أو زميل هنا الطامة الكبرى ... لذا اعتبر ان بائعة الهوى المحترفة أفضل مني ، انها هكذا أرادت أو اريد لها ولا تخفي ذلك او تخجل ولهذا الرجال يذهبون اليها ويقفون بالصف الطويل ينتظرون دورهم ويدفعون المال تاركين الزوجات أو الصاحبات لماذا ؟ لان أولئك النسوة صادقات ايجابيات احداهن تقول له عجل هناك غيرك خذ ماذا تريد ، تعطيه بكل جراءة ودون توسل أما المرأة العادية فانها ترغب بصحبة الرجل وتموت ان لم يأخذها ، ومع ذلك تمتنع عندما يقترب منها ظانة ان تمنعها يزيده تعلقا بها ، ناسية انه يهرع الى المكان ( اياه ) لان العطاء فيه سمح ، والنفس مفتوحة ولان العرى الكامل متوفر، ولهذا السبب أجد أنا حولي اكثر من رجل باستمرار ، لاني اعطي بسخاء بل اعيش العطاء ، لم انس حديث احمد في تلك الامسية لقد قال لي بالحرف الواحد : اني احبك بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى احبك لسلوكك المحترم وجرأتك الحلوة أحب فيك ما يعتبره الآخرون وقاحة وسوء تصرف ... انك انسانة تعرف ما تريد تفهمين معنى الحب ، ثملت من كلماته وحدقت

به انه يعي ما يقول فهو لا مطمع له معي لقد أفهمته انى لا أستطيع ان اتزوجه او حتى أن اخلص له ، نعم قلت له بالحرف الواحد واني قد ابتعد من دربك لمدة طويلة ولا ألتقي بك ثانية ... فأجابني لهذا احببتك واحترمك كان بامكانك ان تكذبي علي وتقولين لا اتزوجك ، فأبي يرفض أو اني مخطوبة او عازفة عن الزواج أو أي عذر ولكنك ابيت هذا ووضحت رفضك بجرأة وحلاوة ولهذا احترمك وسأذكرك باستمرار .. انك تفهمين الحرية حق الفهم ... انك انسانة .. انسانة تعرف انسانيتها وقيمتها .. تمنيت ان ألتصق به ولكني لم استطع ، انه يحترمني ويحبني ولكن ما ذنبي ان لم تحرقني ناره ولم يأسرني سحره ويسكرني خمره كما اني لا أؤمن بالحب ولا بالارتباط الدائم ، لاني لست حرة كما ذكرت لك ... ولا نستطيع فهم الحرية ، لانها لفظة نعرف منها الغلاف فقط فالانسان اسير ماضيه واحداثه وزمانه ومكانه فانا مثلامهما تقيأت ماضي واحداثي ابقى أسيرة هذا الماضي ، اسيرة رواسبي ومجتمعي وزماني ، اسيرة الف الف قيد فالماضي عملاق لا استطيع الخلاص منه ويكمن في الكلمة أقولها واللغة اسمعها والعاطفة تغمرني والبلد اعيش فيه .. والحب يتطلب الحرية والانطلاق والتمرد وانا لا أملك منها شيئا ، لقد تحررت من اخلاق المجتمع ومفاهيمه ومثله ولكن اتحررت حقا ... ولماذا طلبت التحرر لاني اسيرة الماضي .. اف أكاد أجن ليتني أجد ما يشلني عن التفكير ، اذن لتغيرت حياتي آه كم اتمنى ساحرا يأسرني ويجعلني لا أفكر ولا أناقش ولا أسأل ولا أعطي أو أمنع شيئا .. آه لو تستطيع قوة في العالم ان تزيل من اعماقي اشارة الاستفهام التي تغرقني ، آه أين تلك القوة لتنقذني من ضياعي ، وتمزقي ، من قلقي ، وكفري والحادي من شكي الكافر اتمنى نورا يضيء دربي العتم ويهدي خطواتي المتعثرة ...

اف مالي ولهذه الاحاديث الخليطة ، لم اسافر من بلدتي وتسافر معي لتستمع الى ثرثرتي الفارغة .. آه ما أجمل ان يعيش الانسان بجو جديد ، هذه الغرفة رائعة انها جديدة بالنسبة لي ولكن غدا ستكون قطعة مني وانها من الآن جزء مني وتشركني افكاري وتستمع الى ثرثرتي ولو كانت تملك حرية الكلام لقالت عني ، فاجرة امشي عارية ، ورجل غريب يحدق بي مشدوها ... انك لا تصدق ما ترى اليس كذلك افرك عينيك قد تكون بحلم ، احقا الفتاة المهذبة يمكن ان تتصرف هكذا ، شعري مبعثر على وجهي وكتفي وعنقي وجسدي يهتز بنشوة محمومة واتكلم بهذا الشكل اللامنطقي ، والكأس بيدي أشرب بجنون غريب ... انك بحلم لذا تحدق بي مستغربا لا تظن اني اهذي ، انها الحقيقة دون رياء او خوف وكل انسان نصادفه يرغب ان ينطلق بعفوية وبساطة حتى امي تلك القديسة لماذا هي كذلك لانها أرادت بل أراد لها الآخرون ان تكون أما ممتازة وربة بيت من الدرجة الاولى ولكنها في اعماقها تتمنى لو تعيش كما تريد فعلا لا كما تريد ظاهريا ... وانا عندما اعمل واتحدث واسير يظن من يراني اني مثال الفتاة المهذبة ... حتى اني كما تعرف في بلدتي يقول عني الجميع قديسة وافضل حتى من أمي .. والرجل كل رجل يحب أن تكون زوجه بائعة هوى محترفة تتكلم وتتحرك بجرأة وتعطيه بسخاء ومع ذلك يمتدح اخلاقها الفاضلة فتتصرف هي حسب طلبه وتكون تلك الفاضلة فيهرب الى الاخرى يبعثر عليها نقوده ووقته وعواطفه التي منعها عن زوجه الفاضلة ... وهكذا فان الرجل يؤمن بأفكار لا يعيشها ويعيش افكارا لا يؤمن بها ... لذا يتزوج ويضغط على زوجه ويطلب منها الاتزان والوقار ويتركها ويهرع الى الجريئة المتمردة ويعطيها خلاصة روحه وجسده وماله ... وانا اعرف كل هذا .. لذا اعجب الرجل كل رجل ..

( انثى )

# أنـا زنجي

شعر : الفيتوري

قلها لا .. تجبن لا تجبن
قلها في وجه البشرية
أنا زنجي
وأبي زنجي الجد
وأمي زنجية
أنا أسود
أسود لكني حر أمتلك الحرية
أرضي افريقية
عاشت افريقية
عاشت أرضي
عاشت افريقية
أرضي .. والابيض دنسها
دنسها المحتل العادي ...
فلأمضي شهيداً
وليمضوا مثلي شهداء أولادي

فوراء الموت . ووراء الأرض
تدوي صرخة أجدادي ..
لستم بنينا إن لم تذر الريح رماد الجلاد
لستم بنيناإن لم يجل الغاصب عنها مدحورا
إن لم تخلع أكفان الظلمة
إن لم تتفجر نوراً ..
إن لم يرتفع العلم الاسود
فوق رباها .. منصوراً
إن يحن التاريخ لكم جبهته فرحان فخوراً
الفجر يدك جدار الظلمة
فاسمع ألحان النصر
ها هي ذي الظلمة تتداعى ..
تساقط .. تهوي في ذعر
ها هو ذا شعبي ينهض من إغمائه
عاري الصدر

ها هو ذا الطوفان الاسود
يعدو عبر السد الصخري
ها هي ذي افريقية الكبرى
تتألق في ضوء الفجر
لتنتفض جثة تاريخنا
وينتصب تمثال أحفادنا
آن لهذا الاسود .. المتردى
المتواري عن عيون السنا :
آن له أن يتحدى الورى
آن له أن يتحدى الفنا
فلتحن الشمس لهاماتنا
ولتخشع الارض لأصواتنا
إنا سنكسوها بأفراحنا
كما كسوناها بأحزاننا
أجل
فإنا قد أتى دورنا
افريقيا
إنا أتى دورنا ...
ألئن وجهي أسود
ولئن وجهك أبيض

سميتني عبداً ..
ووطئت إنسانيتي
وحقرت روحانيتي
فصنعت لي قيداً
وشربت كرمي ظالماً
واكلت بقلبي ناقماً
وتركت لي الحقدا
ولبست ما نسجت خيوط مغازلي
وكسوتني التنهيدا والكدا
أنا كائن .. أمي وأمك طينة
والنور ليس لاينا جداً .
إني صحوت
صحوت من امسي
وذوي فأسي تهد حبوره هدا
سأكون ناراً .. فالحياة تريدني ناراً
وارقص فوقها رعداً
فأخلع براقع كبريائك
إنني أسكنت جيفة ذلتي لحداً

# الحب

مسرحية بثلاثة فصول

تأليف بول جيرالدي

تعريب الثقافة

الفصل الاول

( بهو استقبال ، باب مفتوح على حديقـة نسقت على الطراز الافرنسي ) .

المشهـد الاول

هنري ، هيلين

( الغرفة خاوية ، يدخل هنري قادما من الحديقة ، ممسكا بيده رسائلا ) .

هنري : ( يتجه نحو الغرفة المجاورة ) .

أأنت هنا يا هيلين ؟ ( يقف على عتبة الباب ، لايرى المشاهد المخاطب ولا يسمعه .

هنري : انهـا تفكر في قضاء بضعة ايام بيننـا في الرسالة معه ) .

هيلين : اعتدل في جلستك ( تعتمد عليـه وتقرأ

هنري : طبعا ايتها البلهاء الجميلة .

ان اقرأ الرسالة معك ؟

صحتها جيدة ( تقترب من هنري ) . هل استطيع تظهر الآن في اطار الباب ) .

من والدتك؟ كيف حالها ؟ (هنري يقرأ ولا يجيب،

هيلين : ( لايراها المشاهد بعد ، ترفع الآن صوتها ) آه لو كانت رسالة من والدتي .

لا ، شيء لا يذكر ( يهبط بينما يفض رسائله ) ، عتبة الباب ) .

هيلين : دعني اذنأقرأ ( تمر فترة. يقرآن ، يحاول قلب الصفحة ) انتظر ( برهـة انتظار ) اقلب ( يقلب الصفحة ، يعاودان القراءة ، بعد برهة يشاهدان وهما يضحكان معا بنفس الابتسامة وفي نفس المناسبـة ، تترك أخيرا كتف هنري ، يحدق كـل منهمـا بالآخر بسعادة وحنان ) . انها لطيفة امك .

هنري : وأنت ، ماذا كتبوا لك ؟

هيلين : لا شيء يذكر ، ان مارت ضجرة ، سوزان تشكو طراوة جو هذا الموسم .

هنري : دوما دون اخبار من اختك ؟

هيلين : انت تعلم جيدا أن جان لا تكتب قط .

هنري : ادعها لتقضي بضعة ايام بيننا اثناء وجود والدتي .

هيلين : اجلس مستقيما .

هنري ( وقد اعتدل ) انك تضايقينني ياهيلين هلا تريدين استقدام اختك ؟

هيلين : اوه ، أنا طبعا اريد .

هنري : وأخيرا ، أتريدين ؟

هيلين : لكن ، اذا أردت انت !

هنري : رباه كم اكره هـذه الردود ، أليس لك

رأي ؟

هيلين أنا لا ، اتخذ أنت قرارا وأنا أقرك مسبقا .

هنري : انني افضل جدا ان تفرضي علي رأيا ، فقد مللت من عمل ما أريد دوما ، حقيقة سيان عندي ان اعمل ما يسرني وانما احب كثيرا ان اعمل مايسرك أنت .

هيلين : لندعوها اذاً .

هنري : اتعلمين ياهيلين علام يدل مظهرك ، انك تسأمين .

هيلين : يالك من ابله ( تقبله ) .

هنري : آه ، لقد هتف لنا شالانج ، وسيأتي ليراك قبل العشاء .

هيلين : أنا ؟ أيريد ان يراني أنا ؟

هنري : لقد عنى ذلك ؟ فهو يريد ان يدعونا ذات مساء للعشاء ، فأجبته بالاتصال بك بعد الظهر .

هيلين : لماذا قلت له ذلك ؟ ليست لي اية رغبة في رؤيته ، فلقد سبق ان جاء قبل البارحة .

هنري : عفوك ، لقد حسبت ان زياراته تسرك ، فلقد كانت تسرك حتى الآن ؟

هيلين : أجل ، وانما ليس ثلاث مرات في الاسبوع فأنا لا احب من يفرض نفسه .

هنري : خشيت دوما ان اراك ضجرة وقد سنحت لك فرصة ساعة تلهين خلالها فانتهزتها لك وما كنت اعتقد بأنها ستكون مدعاة لسأمك . كلما قضيت فترة بعد الظهر لوحدك فانك تبدين سيئة الخلق مساء ، لقد لاحظت ذلك . ماذا جرى لجاراتك ؟ السيدة جوف ، والسيدة تانسان ؟

هيلين : تتذمران ، ان كل النساء يبعثن في نفسي الملل .

هنري : ندرة من النساء ممن يسترعي الانتباه . واما للتحدث عن الملابس ...

هيلين : ان هذا الموضوع يشغفني في الواقع .

هنري : لا ، فأنا لا اريد أن ألومك من هذه الناحية

هيلين : لا فهذا لا يملني ايضا ، فأنا لا ازعم بأني انصرف عن هذه المواضيع التي لها دوما مكانها في الحياة . وانما ليس هنالك مايدعو للقرف اكثر من التحدث عن الملابس مع النساء ، بينما مع الرجل ، ومعك فهذا يمتعني .

هنري : انك تلومينني دوما بكوني عديم الزوق .

هيلين : مع انني آخذ بعين الاعتبار ملاحظاتك ، وسأقول لك ، ان لك ذوقا ، الا انه ذوق بطيء فانت لا تفهم شيئا عن فساتيني الجديدة ، وعندما يتقادم بها العهد ، تريدني ألا أتركها مطلقا . فأنت كالناس الذين ليسوا بموسيقيين فهم لا يستطيعون ان يحبوا الا الالحان الرتيبة المألوفة .

هنري : انني في الواقع لا أشعر بالراحة الا امام ما أعرفه . على العكس ، اعترفي انني لا أمل بسهولة مما احب ( يقبلها ) .

هيلين : لقد قضيت زمنا طويلا لمعرفتي شخصيا . فكم تشاجرنا في الايام الاولى من زواجنا .

هنري : لقد اردت الطلاق

هيلين : وانت ايضا .

هنري : لقد كنت بغيضة جدا وتثورين باستمرار

هيلين : كنت ادافع عن ميولي وشخصيتي فلشد ماكنت طاغيا .

هنري : لقد أحببتك وما كنت أرضي الا أن تكوني شبيهة بي .

هيلين : كم من منازعات ، وكم من عواصف مع أننا تزوجنا عن حب ، اتذكر ؟

هنري : ومن أجل ذلك كنا نتطلب الكثير وتتطلب الكل .

هيلين : وذات يوم ، كنت ثائرا ومرعبا حتى حسبت

انك تهم بضربي ٠
هنري : كان عندي الكثير من التهذيب ٠
هيلين : لولا ذلك لكنت ضربتني ٠
هنري : أنا ؟ ( باردا كالصخر ) ٠
هيلين : ( غاضبة لكرامتها )
آه ! ( وبعد برهة ) ألا تأسف قط على ذلك الزمن؟
هنري : حقا ، لا
هيلين : لقد كانت في الواقع فترة محزنة ، اذ كادت الدار تكون خاوية والحديقة دمن موحشة ٠
هنري : كنت تكرهين هذا البلد وتشعرين بانك مقيدة فيه ٠
هيلين : الآن ، لن اقبل بديلا عنه ، اجل ، فهو أفضل الآن ولكنني كنت اجمل ٠
هنري : ما كنت أبدا أجمل مما أنت الآن ٠
هيلين : انك لا تقول ما تعني ٠
هنري : أجل لقد ذبل جمالك ، انما اتخذ شيئا من الشمول وكثيرا من الكمال والاعتداد ٠
هيلين : ( تستغرب الكلمة الاخيرة ) الاعتداد ؟ قل لي ، هل هذا لوم ؟
هنري : مطلقا ، فهذا طبيعي جدا ٠
هيلين : مخيف ان اقول بأني سأبلغ عما قريب الثلاثين ٠
هنري : ثلاثون عاما ؟ على العكس ، فهي أجمل سني المرأة فهي تشمل الحتمية والنضوج وسمة السن٠
هيلين : نهاية الشباب ٠
هنري : أجل نهاية الشباب ، الشباب الاناني والمتذمر والصعب ، وهو مطلع للصيف ، لصيف غني وهادىء ، وهو سن القلب اليافع ٠
يجب ألا نحمل الحزن على الماضي عندما ينصرم كما نشتهي ٠ وأما المؤسف فهي الايام الضائعة ٠ ان الايام السعيدة ما كانت أبدا أياما ضائعة ٠
لقد شعرت في سني الاخيرة أنها عالقة في نفسي الى الابد ولن يستعيدها شيء مني ٠
يمكن ان تمر أيام اقل منها سعادة الا انها لن تحول دون شعوري بأيام السعد ألا ترين كيف يمكن ان نكون فقراء بينما كنا حقيقة اغنياء ٠
هيلين : هل تشعر الغناء بنفسك ٠
هنري : أنا ؟ اجل ! غني جدا ٠
هيلين : أسعيد انت ٠
هنري : مطلق السعادة ٠ وأنت ؟ انك لا تحرين جوابا ، أفلست سعيدة ؟
هيلين : أجل
هنري : اينقصك شيء ؟
هيلين : أواه ، حتما لا ، لي كل ما كنت اشتهي وحتى فوق ما أبغي ، عندي أنت ، وعندما اقارن نفسي بالنساء الاخريات فانني اشفق عليهن ٠
هنري : ان لم تكوني سعيدة يا هيلين فان سعادتي تتوقف بدورها لان سعادتك ملازمة لي ٠
هيلين : لكنني سعيدة ٠
هنري : وهل تشكين مني ؟
هيلين : وكيف ، طالما اقول لك انني سعيدة ٠
هنري لم تعودي تحبينني كسابق العهد ٠
هيلين: آه انني احبك اكثر، وطبعا كعهدنا السابق٠ ولكن ليس باقل منه ٠
هنري : اوضحي لي الفرق ٠
هيلين : لقد كنت سابقا اتهيبك ، واشعر اني طفلة امامك ٠
هنري : ما كنت اعتقد ذلك ٠
هيلين : كنت اثور على نفسي ، وأقارعك الا انني كنت مؤمنة بأنك على صواب فكنت أعبدك من خلال ثورتي ٠
هنري : بينما الآن ؟
هيلين : الآن ، أعبدك دوما ٠

هنري : ولكن ؟

هيلين : لم أعد اتهيبك الآن ، فأنا أعرفك ومن ثم نضخت ولا ازال اعتقد بأنك ارفع مني الا انني لم اعد اشعر بأنني دونك كالسابق فأنا اشعر ... ستهزأ مني

هنري : تحدثي .

هيلين : اني اشعر كأني ندك

هنري : ألم تعودي تعجبي بي ، ماذا

هيلين : ( تبتسم له برقة ) كلا

هنري : طبعا فأنت ترينني طوال الايام ، وتعرفين الآن صفائري وهوسي .. وبالاحرى لماذا تعجبين بي ؟ فلست ارفع منك وهنالك الكثير من الاشياء تتفهمينها احسن مني واني اعتقد بأننا يتمم احدنا الآخر .

هيلين : أأنا كثيرة الذكاء .

هنري : انك لا تثقفين نفسك ولا تقرأين القدر الكافي وهذا مؤسف .

هيلين : انني اعرف ولكن قل

هنري : اجل انت ذكية جدا .

هيلين : ( بسرور ) أصحيح ؟

هنري : نعم

هيلين : احبك ، ها أنا احبك ( لحظة حالمة ) ، أجل لقد كان سابقا اقل منه الآن وهذا محزن ، كان كل يحب نفسه دون الآخر .

هنري : ( وقد اظلم وجهه ) لكني افكر فيما قلته لي توا ... وآمل ألا تشعرين بعد بأنني انحدر .

هيلين : انك في الواقع لازب لي ولن أتفهم واقع الحيات الا بك . انني احتاج لان اطلعك على كل شيء فاذا اجتاحتني عاطفة ولم تكن الى جانبي تشاطرني سعادتها فهي ناقصة ومبهمة . معك ، أحاسيسي كلها اكيدة وواضحة . فأنا بحاجة لتكون معي كي اتحقق من كل شيء ( يقبل شعرها بحنان ) ، انت صديقي الكبير .

هنري : ( كمن أفاق فجأة )
صديقك ؟

هيلين : نعم ، ماذا بك ؟

هنري : أنا لا أحب هذه الكلمة ، في الواقع لست الا صديقك .

هيلين : اجل ! الصديق المثقف ، المهذب وأخيرا الصديق بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، صديقي . وما الذي يمسك ؟

هنري : ( وقد اخذها بين ذراعيه )
الست ايضا شيئا آخر لك ؟

هيلين : آه ! لقد انقضى ذلك الوقت ! كل يعرف الآخر جيدا .

هنري : ( وقد تبدل وجهه ) آه

هيلين : وحشي الجميل ، انني اداعبك !

هنري : ( يفكر بجد ) يحتمل ان اكون قاسيا جدا فأنت تجدين حياتنا متساوية ورتيبة جدا . نرى القليل من الاصدقاء ودوما نفس الوجوه .

هيلين : اتعتقد أن لي ميولا طبقية رفيعة ؟

هنري : كنت دوما ازعم بأننا يجب ان نعيش منعزلين ، محاطين بحدود وأننا لا نتفهم جيدا ما نعرف وباستطاعتنا ان نحب ما نحبه اكثر ... ولكن اخيرا .

هيلين : أنا أعرف افكارك وانت تعرف جيدا أن لي نفس الافكار .

هنري : أموقنة انت ؟ لقد جاهدت كثيرا لاقناعك ، الى ان انتهى بك الرأي جاهدة للقناعة. ها انت تتحدثين عن اعوامك الثلاثين وكأن حياتك لم تترع بعد .

هيلين : كنت امزح

هنري : كثيرون من يعتنقون رأيا مخالفا لرأي . انظري حولنا . كم من قلوب عطشى تلج لاستعادة وجودها ، كم من آثم لشرعة الزواج كم من حادث لطلاق .

هيلين : انت تفكر في المسكينة انطوانيت ، فالحق

الى جانبها لان زوجها لم يعد يحبها مطلقا •

هنري : وهي ايضا لم تعد تحبه قط

هيلين : لقد احبته سابقا •

هنري : لقد عبدها فتاة، وفي الواقع ماعرف كلاهما رعاية حبهما الجامح وصهره في الحياة • ان الزواج امر صعب ، انه كل الفن • سهل ان يعجلا في حب مبكر فهما لا يعرف احدهما الآخر وانما المشكلة بأن يتحابا عندما يتعارفا فعندها يرتفع القناع ويقف الغش •

اذ يجب ان نستحق الحب الذي نلح في طلبه من الآخر •

اعتقدت انطوانيت ان الحب والسعادة بعيـدان ، مجهولا المكان وخارجا عن نطاقهما ، ويجب أن يجريا للحاق بهما • هنالك مطوفون جابوا اروع الافاق ولم يجدوا في نهاية مطافهم أفضل من سماء بلدهم الولود•

هيلين : ولم تعيد على كل هذا ؟ لقد كنت اتبنى هذا الرأي •

هنري : انني اتحدث عن النفس العطشى

هيلين : كم الساعة ؟

هنري : حدقي جيدا في عيني ، الست متذمرة ؟

هيلين : مم اذن

هنري : منا نحن

هيلين : ( برقـة ) أي رفيقي القـديم ( يتعانقا ) ما الفكرة التي حدت بك لدعوة ( شالابخ ) للحضور ؟

هنري : دعينا بسلام •

هيلين : انني اجد هذا السيد ثقيل الظل •

هنري : لقد وجهنا له الف لفتة •

هيلين : كثيرا جدا ، انك تفقد الحدود عنـدما يعجبـك انسان وعندها لن تتحمل البعد عنه •

هنري : ندرة بين الناس من يتمتع بمزاياه •

هيلين : ايتمتع حقا بكثير من القدر •

هنري : ينقصه بعض التعمق شأن رجال الجهد ، الا انه هائل الاقدام والتصميم فهو بلا ريب رئيس عن جدارة •

هيلين : ولكنه يدعي المعرفة كثيرا، انالناس الذين يبـالغون بثقتهم في انفسهم كثيرا ما يتعرضون لخطر التحطيم •

هنري : كم أنت قاسية اليوم مع شالانج •

هيلين : انه يسئمني اخيرا بعزمه الراسخ وحكمـه الحاسم على الاشياء والناس • انك كثير التسامح معه ولقد سمعتكما ذات يوم تتناقشان فشعرت انه يسيطر عليك مع انني كنت موقنة بأن الحق كان الى جانبك •

هنري : لم تكن حججه دون جدوى •

هيلين : مهما يكن الامر فأنا لا ارغب بان تستسلم امامه •

هنري : انني لم استسلم مطلقا •

هيلين : اريدك ان تكون دوما الاقوى •

هنري : متعجرفة •

هيلين : اجل ، متعجرفة جدا • انني مشوقة هـذا المساء لاصاب بالصداع •

هنري : سأبدو فيالمستقبل وكما تبغين أقلالحاحا، الا انني طلبت اليه هذا النهار ان يحضر •

هيلين : لكم اود ان أصاب بالصداع •

هنري : لا تكوني طفلة •

هيلين : لعل لي عذر في عد ماستقباله •

هنري : لو كان لك العذر لقلت لي :

هيلين : عندي عذر •

هنري : دعينا الآن •

هيلين : ان شالانج يلاحقني ويتودد الي •

هنري : اعرف ذلك جيدا •

هيلين : كيف ؟ هل لاحظت ؟

هنري : طبعا ، لاحظت •

هيلين : لا ، صحيح ولكن كيف لاحظت •

هنري : وأنت

هيلين : اوه ، هذا امر عجيب جدا ، ومتى بدأ

ذلـك ؟

هنري منذ شهر ، ومجرد وصوله هنا ، ولاول مرة تناول فيها العشاء في دارنا •

هيلين ذلك المساء ، حدث القليل من الاشياء

هنري : أجل ، لاشيء من المبالغـة في التودد بـل بعض ابتسامات •

هيلين : أرأيت ذلك ؟

هنري : كما أراك الآن • وفي الاسبوع التالـي اضاف عند عائلة ( تانسان ) الى لفتاته تحببا ملموسا •

هيلين : ( جادة ولاهية ) وكيف رأيت كل هذا ؟

هنري : واخيرا البارحة بدت منه دعابات جديدة من التصرف فاتخذ صوته جرسا خاصا عندما تحدث اليك مضيفا له نوعا من المتنميق ومن ثم الشكل الذي اضفاه على كلمة الوداع •

هيلين : ماذا تفكر بكل هذا ؟

هنري : وانت

هيلين : أنا لا أستطيع الحد مما وقع

هنري : (بكثير من الهدوء) كنت تستطيعين لـو شئت •

هيلين : انني اتساءل كيف يمكن ذلك مثلا •

هنري : انت جميلة جدا ، أجل جميلة جدا وتعرفين ذلك ومع هذا فقد وقف دوما أقل الرجال حياء حذرين أمامك •

هيلين : من المحتمل انني ما كنت اروق لهم •

هنري : كنت تعجبينهم ولكن حتى الآن كان في سلوكك شيء من الصفاء والوضوح التام ، فهم من خلالهما كل منهم أن لاجدوى ولا طائل من المحاولة •

هيلين : ألم اعـد اذن تلك الصافيـة ؟ ولا تلك الصريحة ؟

هنري : لا تزالين ، ولكن مع القليل من الواقـع فقد كنت لعوبا مع شالانج •

هيلين : ألاحظت ذلك ايضا ؟ أجل ، في الواقـع كنت لعوبا معه ، صحيح وها أنا أوضح لك • اردت أن أعلم كنه ماكنت تقول لي دوما بأنني جميلة بينما يذهب الاطراء في المنتدبات الى غيري من النساء •

هنري : ان اطـراء الرجال يطوى تحته دومـا نواياهم المبهمة للتحفز وانأجرأهم لا يستهدف الا المرأة التي لا يشك في اصابتها •

هيلين : رويدك فليس كل الرجال يستبق هـذه الفكرة السيئة •

هنري : بلى يا هيلين •

هيلين : اصارحك اخيرا ان شالانج هو اول رجل اسمعني ••• ( ولكن بكثير من السرية ، فهو رجـل كثير التهذيب ) بأنني استرعي اهتمامـه ويجد فـي التحدث الى الكثير من البهجة والاطمئنان •

حسبت في بادىء الامر انني اخطأت التقدير فقد ذكرت لي بأنه انسان رفيع الفهم • فلم اذن يهتم بي مثل هذا الرجل •

هنري : ياللدماثة

هيلين : ألا تصدقني

هنري : أجل ، اصدقك •

هيلين : رأيته كثير التحبب الي ، يلاحقني بنظراته ويحتال بلباقة ليجلس دوما الى جـانبي ومع هـذا ، اصدقك انني ما كنت متأكدة ، ولكن أردت انأعرف• أفهمت ؟

هنري : انت طفلة ، أؤكد لك انني لن اصدق انك المرأة القوية والجريئة والتييدهشني ذكاؤها في كل مناسبة تستطيع ان تكون احيانا طفلة لهذا الحد •

هيلين : ( بكثير من الحنان ) ألست غاضبا علي ؟

هنري : لا ، ولكن هلا ترين خطر مداعبة هـذه الاشياء ، وكيف أن رعونة صغيرة قـد تخلق مشاكل يصبح التسامح معها صعبا ومستحيلا • انت تشعرين بنفسك الآن بعد ندمك بأنني دعوت شالانج للحضور فأي جو ثقيل اضفاه طيشك ، ألا تحسين كيف يخجل

رجل يعتقد أن مجرد تقربه منك يعقدأمله للوصول ..

هيلين : أو

هنري : مخجل لك ألا تتبرمين فورا ، هذا مخجل لي ، هذا مؤسف .

هيلين : لقد كنت مخطئة في الواقع ولم افكر . وأما أنت فانني لا أفهمك . كيف شعرت بكل هذا ولم تقل لي .

هنري : كنت انتظر ان تتحدثي الي .

هيلين : وكيف استطعت بعد ان عرفت نواياشالانج انتستمر في استقباله وبالاحرى تصر على حضوره ؟

هنري : لانني لا أقبل ان يكون شالانج خطرا علي ، لن ادعه يعتقد انني أخشى ان تكون تحت رحمة متغزل حاذق .

هيلين : أنا لو كنت مكانك لوجدت وسيلة أفهمه بها .

هنري : ان هذه الوسيلة تعنيك لوحدك .

هيلين : انت زوجي .

هنري : وماذا تعني

هيلين : ان واجبك اخيرا هو الدفاع عني .

هنري : أليس لك الكفاية من الادراك لتدافعي عن نفسك لوحدك ؟ هراء ( يرفع كتفيه ) ، ومع هذا فأنا أعرفك وانني موقن بانني لو تداخلت لتحفززهوك وانتصر . لن استطيع ان انصب الحرس حول امرأة مثلك ، (يرتعد) ، ان تدخلي في شأنك هو اعتراف بحق الرجل كجلاد او مالك .

تقبلين ان أضفي على كلمة زوج معنى بدائي مبتذل ، كلا ياهيلين لا يوجد في مفاهيم الحب حقوق او أحلاف أو عقود ، هنالك الحب .

ان واجبي في السهر عليك وفي حماية نفسي من الآخرين يعني تفضيلهم علي ، وانني أعجب ان يكون لك في هذا الصدد رأي يخالف رأي .

هيلين : ( متحفزة ) يا له من درس في الوجدان ، والى أين تذهب بابحاثك ؟

هنري : أ أدافع عنك ، ولكن ياصغيرتي لو مست الحاجة لافكر في الدفاع عنك ولو انقطع يقيني من ان اكون كل شيء في حياتك لما استطعت ان اعايشك .

هيلين : أيفرقنا الطلاق ؟

هنري : بالتأكيد

هيلين : أجاد فيما تقول ؟

هنري : جدا وبالتأكيد ياهيلين . لقد فقدناولدنا ولم يعد لنا من رابط سوى انفسنا ، وما الصواب في ان نعيش معا اذا توقف شعورك بحبي .

هيلين : أنا لا أصدق ، انظر الي ، أحقيقة تستطيع ان تفكر في مثل هذه الامور ؟

هنري : ان كل سعادة معرضة للفناء .

هيلين : ارجوك ان تسكت ، سينتهي بك الامر لاقناعي بأني اقترفت جريمة . هدىء روعك فانهذه القصة السخيفة قد انتهت واندثرت تماما . وسأعيد شالانج الى مكانه منذ هذا المساء . انا لا اريد انأخلق نزاعا معك من اجل هذا الرجل . فهو لا يسترعي قط انتباهي وسارجوه منذ الآن أن يقبع في داره بعيدا عني .

هنري : لا ، لا لقد شط بك الطريق هذه المرة فليس من الضروري ان تغلقي دونه بابك ، لا مجال لذلك فهو لم يقترف ذنبا وانما لعب دوره كرجل عند ما كنت موضع اهتمامه . وهذا لا يدهشني لقد جعلك تشعرين بتحببه اليك ، وقد بالغ الا أنها خطيئتك وليست خطيئته .

وعليك أن تبدلي موقفك منه فيفهم هفوته وينتهي الامر .

لعلك تدركين الآن مساوىء تدخلي الحاسم اذ تصبح علاقتنا معه مستحيلة فقد استقر في هذا البلد

وهو الآن جارنا لسنين طويلة ٠
هيلين : ها هو الآن مرتبط بنا حتى نهاية العمر ٠
هنري : من المحتمل جدا ٠
هيلين : هذا مسر ، اذن لن استطيع اذا حاولت ألا أراه ٠
هنري : لماذا تريدين ألا ترينه قط ، فعندما تبدلي موقفك معه فان علاقاتنا تعود كما يجب ان تكون عليه ، أي لطيفة وعادية ٠
هيلين : واذا هو لم يعد عن محاولاته ؟
هنري : ستجعلينه يبدل موقفه ، وأنا موقن من ذلك ٠
هيلين : اتعتقد ان ذلك سهل جدا ؟
هنري : ان المرأة قادرة بابتسامة ان تذيب الرجل خجلا وتجعل منه اضحوكة ٠
هيلين : قد يختلف هذا ٠
هنري : اجل ، حسب تصرف المرأة ٠
هيلين : واذا احبني مع ذلك ؟
هنري : ( يحتدم قليلا )
ماذا يعنى اذا أحبك ؟
أيعرفك ؟ ما ذا يعرف عنك ؟ كونك جميلة ؟ وأن من المتع ان يبالغ في التقرب من جمالك ٠ أنت لوحدك تستطيعين أن تفهمينه ان الحب عند امرأة مثلك له معنى آخر اكثر سموا ، فقد اساء فهمنا ٠
هؤلاء العازبون لن يتفهموا قط معنى الزواج لأنهم يحسبون ان الرابطة الزوجية هي محض فكرة ادبية ، ستعيديه الى صوابه عندما تكشفي له بأن حياتك هي ما نحن عليه من السعادة ٠ فهو ليس بالفعل وسينتهي به الامر الى الفهم ٠
هيلين : أتعتقد انني لو كنت باردة معه منذ البدء، أكان أقل توددا ؟
هنري : لا أدري ، وهذا لا يهمني قط ، فقد جرت الامور كما جرت ، وان الاسف الآن مضيعة للوقت ٠
هيلين : لقد اوغرت صدرك ، اليس كذلك ؟
هنري : لا ، ابدا
هيلين : قل لي ٠ الست امرأة منحرفة ؟
هنري : كلا أيتها الخرقاء
هيلين : انظر لي
هنري : ها أنذا
هيلين :ماهو اعتقادك فيَّ ؟
هنري : ( يأخذ رأسها بين يديه ويطيل النظر اليها بحب ) أحبك ٠
هيلين : أجل ولكن ما هو اعتقادك بي ؟
هنري : لقد اجبتك ، احبك ، وهذا يعني بالنسبة لي انني اعجب وافتخر بك ولي بك ثقة مطلقة ٠
هيلين : أصحيح ؟
هنري : طبعا
هيلين : وها أنا اعبدك ، فقد هدأت نفسي عندما تكلمت وتحدثت اليك ، هذا واقع ٠ لقد كنت أرزح تحت عبء ثقيل تخلصت الآن منه فغدوت خفيفة ( تجلس فوق ركبتيه ) ، لقد كانت سخافة (تبتسم له) اعلم أن الرجال الآخرين لن يسترعوا انتباهي ، تستطيع ان تكون ناعم البال ، احبك فوق كل الحدود حبا يفوق كل شيء ، احبك يا صديقي القديم ٠
هنري : ليس في ما تقولين داع للبكاء
هيلين : ( تلتفت عنه وتمسح عينيها ) انني لا أبكي ( تبتسم ) أتعتقد ان هذا تافه ٠
هنري : ( ينظر الى الحديقة ) ، حذار ، امسحي دموعك وسأتركك ، أليس كذلك ؟
هيلين : لا لا أرجوك ابق معي ٠
هني : انه لن يأت لرؤيتي
هيلين : سبب حري ببقائك
هنري : سيكون لتصرفك الكثير من التفسير اذا لم اكن موجودا ( يتقدم نحو صحن الدار وقد بدا يشير مستقبلا قادما ) ، صباح الخير يا عزيزي ٠

# الموت من خلال شعر السياب

بقلم : عبد الكريم الناصر

... وأخيرا مات السياب بعد أن حاور الموت كثيرا ، مات بعد ان لم يعد الموت عنده انبعاثا جديدا كما كان في انشودة المطر بل رحيلا لا عودة منه . ان الموت في انشودة المطر كان موتا « تموزيا » صادرا عن موقف فكري آمن السياب به ، لدرجة نسي معهاموته البطيء في عالمه الخاص ... نسي ذاته ... قبح وجهه الذي أكمه كثيرا ... حبه الناجع المصلوب على جدار الدين كما تشير بذلك قصيدة اساطير في ديوانه « اساطير وازهار » وقام نسيانه هذا هوة عميقة بين ما يعانيه حقا وبين ما يؤمن به ، بين موته الحياتي . وبين موته « التموزي » الشعري ، فليس السياب اذن في انشودة المطر الا مهزوما يحلم بالانتصار ، ولكن هل وجد السياب انتصاره في واقعه أم انه لم يحقق هذا الانتصار الا في فكره وتصوره حين نادى نفسه تموزا تولد جيكور من جرحه ومسيحا لم يمته الصلب . وحين ودّ لو تشق أعماق صدره رصاصة وهو يعضد المكافحين وتصرعه ليعود مستقبلا !..

احس بالدماء والدموع والمطر
ينضحهن العالم الحزين
أجراس موتي في عروقي ترعش الانين
فيدلهم في دمي حنين
الى رصاصة يشق قلبها الزؤام
أعماق صدري كالجحيم ، تسيل العظام
أود ! لو عدوت اعضد المكافحين ،
أشد قبضتي ثم اصفع القدر !
أود لو غرقت في دمي الى القرار
لو أحمل العبء مع البشر
وابعث الحياة ! ان موتي انتصار !.

واذا كنا لا ننكر عليه احساسه الصادق بالدماء والدموع التي ينضحها بؤساء العالم ، فلا بد لنا من التساؤل ، هل كان يحق حقا الى رصاصة تشق صدره؟؟ هل كان يحب ان يعضد المكافحين ويصفع القدر ؟ ؟ ان في مواقفه الاخيرة وفي ابتعاده عن خط اراده هو لنفسه ما يفقد موقفه الصدق ويقيم بيننا وبين الشاعر جدارا من الشك .. واذا كان لمرض السياب والظروف العسيرة التى عانى منها كثيرا أثر لا يمكن نكرانه في ما آل اليه فمما لا شك ان هذا السبب لا يمكن ان يكون مبررا كافيا لذلك الموقف .

الا اننا حين نخفف من أثر المرض على موقف الشاعر من الالتزام ، لا يمكننا من جهة أخرى الا ان نقر بانه كان العامل الاول في تغيير موقف السياب نفسه من الموت ... لقد احس السياب بنفسه ... حدق فيها طويلا ... ورأى نفسه بعيدا عن التصورات الاسطورية « الرسالية » عاريا على حقيقته ... انسانا عاديا .. بضعفه .. نجونه .. لم يعد يعد الموت كما كان موتا تموزيا يذوب فيه ليعود مستقبلا .. جيلا من الناس .. بل خبابة صفراء ــ التعبير للسياب ــ تنبع من داخله لتقف امامه .. كل يوم يمر يدنيه منها خطوة ،

وهو يرتجف ارتجافة الخائف بعيون فزعة كبيرة محاولا جاهدا ان يطرد شبح الموت عن اهدار باغماضة عينيه المتعبتين على أمس مر .. فيرجع في قصائده الاخيرة الى طفولته رجوع المنخذل الخائب !

تعبت من تصنع الحياة

أعيش بالامس وأدعو أمسي الغدا .

ويعود حبه المنسي فيستيقظ من جديد ويتمثل في حياته ذكرى عنيفة ملحة لا تتمالك زوجته الا أن تثور أمامها .

انها ذكرى ولكنك غيرى ثائرة

من حياة عشتها قبل لقانا

وهوى قبل هوانا

ان بدرا في ذكرياته يحاول ان يجد عزاءا ، وخبابته مستقبلة ؟.. هل استطاع ان يرجع الزمن الذي لن يعود !

طفولتي .. صباي اين كل ذاك

اين حياة لا يحدّ من طريقها الطويل سور

كشر عن بوابة كأعين الشباك

تفضي الى القبور

والكون بالحياة ينبض : المياه والصخور

وكل ضاحك فمن فؤاده ، وكل ناطق فمن فؤده

وكل ناتح فمن فؤاده

والمرء لا يموت ان لم يفترسه في الظلام ذيب

ان بدر كان مدركا ان الصبا والمزان لن رجعا . وان تلك الضحكاك والدموع البريئة لن تعود .. ويصرخ اذ ليستفيق من حذر الذكرى :

فهيهات ما للصبا من رجوع

ومع ضياع الصبا ضاعت جيكور ، فجيكور لم تعد تهب السلام والحذر ان جيكور صباه ، جيكور ديوان شعره شابت وانحسرت ظلالها وأمس كل شيء مكفنا بالتراب حتى ضحاها أمس اصيلا ..

وجيكور شابت وولى صباها

وأمسى هواها

رمادا اذا ما

تأوهن هزته ريح

اثارته حتى ارتمى في صداها

هباء ودرا تضيق الصدور

به عن مداها

ان رجوع السياب الى صباه ليس الا محاولة للهرب من الواقع ... محاولة من ان يفيق من تأثيرها حتى تلسعه حزة المشارط في لحمه فيفيق لدى نفسه وحيدا بلا أمل و لامال .. بلا وشيجة تربطه بالآخرين .. بلا درع يقيه الموت الذي لم يعد يفصله عنه الا خطى .

كا انما يلتفت يرى المخالب مستعدة لنهشه وازاء هذا لم يكن امامه الا ان يسأم حتى شعر معنى وجوده .. ان يشك في أقر بانسان اليه ، في زوجته التي حملت معه مرارة المرض انه يخاف ان يكون حبها اشفاقا خالطه بعض النفاق .

كل مايربط فيما بيننا محض اشتياق

ربما خالطه بعض النفاق ..

بل ان مرارة واقعة قادته الى ان يلف حتى بوم وزاجه :

ليت لحن العرس كان غناء حفار

وقرعا للمعاول وهي تحفر قبري المركوم بالطين

وقادته الى مناداة الموت :

وتميلان يدعو ابي سر فاني على الدرب ماشاريد
الصباح
وتدعو من القبر أمي ، نبي احتضني فبرد الردى
في عروقي
فدفء عظامي بما قد كسوت ذراعيك والصدر واحم
الجراح
جراحي بقلبك أو مقلتيك ولا تحرفن الخطى عن
طريقي

وما دعوة قيلان الى الصباح ، وما دعوة أمه الا صدى حيرته في الاختيار بين صباح الحياة وظلمة الموت، غير انه لم يكن يملك الاختيار ... كانت جذوة الحياة في أعماقه لا تتوهج ولا تنطفىء . ان رغبته في الحياة جادة صادقة ولكنه شعر بان نداء الموت أقوى حين اصبحت مواجهته للموت حقيقة .. وهذه المواجهة جعلته يتناسى وجوده ويتساءل بالحاح عن حقيقة الموت هل هو ظلام ، عدم ليس فيه حس وليس من بعده أي صحو أم هو :

نهاية سلم يفضي الى الملكوت

مأام عجزه الرهيب هذا لم يجد بدا من البحث عن متكأ .. من الالتجاء الى الله والانطراح أمام بابه بكل شك وحيرته ليهمس بصلاة خافتة :

لك الحمد ان الرزايا ندى
وان الجراح هدايا الحبيب
أضم الى الصدر باقاتها
لك الحمد يا راميا بالقدر

او ليجأر بمرارة :

منطرحا أمام بابك الكبير
أصرخ في الظلام أستجير
لا أبتغي من الحياة غير مالدي

. . .

منطرحا اصيح ، انهش الحجار
أريد أن أموت يا إله
ومات السياب فهل تراه
وجسد في موته خلاصه ؟

عبد الكريم قاصد

☆ ☆ ☆

### دعوة حضور

### موجهة الى شخص ناصر خظع

السعودية المعتبر مجهول الاقامة

بناء على محضر الضبط المنظم بتاريخ ٣١/٧/١٩٦٤ من قبل مأموري الجمارك .
قد حجزت البضائع الآتية في دمشق من أجل مخالفة القوانين الجمركية استيراد تهريبا أربع صناديق دخان اميركي ل.م ٢٥٠٠٠ ل.س وبما ان المخالف بقي حتى الآن مجهول الهوية ، قررت اللجنة الجمركية المقيمة في مكاتب ادارة الجمارك في دمشق أن تستدعي بهذا الاعلان صاحب البضائع المذكورة أعلاه وجميع اصحاب العلاقة بها للحضور أمامها في الجلسة المقرر عقدها بتاريخ ٢٠/٢/١٩٦٥ في الساعة ٩ وذلك للنظر في المخالفة المذكورة ولاظهار طرق الدفاع بشأنها .

دمشق في ١٧/١/١٩٦٥

رئيس اللجنة الجمركية

# اغنية حب حزينة !

« الى عينين لاتغيبان » — شعر : سهيل عجي

لماذا أحس الوجـود كئيبا ؟
واشعر اني غريب ،
يعانـق ليـلا غريبا !
غريب كأن نبذته الرحـاب ،
وضلت خطاه الدروبا ...
فلليأس في مقلتيه ظلال ،
تلف رؤاه اسى وشحوبـا !...
وتزرع في كل درب خريفـا !...
وفـي كل افـق لهيبا ،...
لماذا ؟ لماذا ؟ اعيش حزينـا ؟
كأن نهـاري ليس نهـارا !
كأني وحـدي حملت الصليبا !...

. . .

لمـاذا ؟
لانـك لسـت معـي ...
أحس الحيـاة احتضارا ،،،
أحس الوجـود جحيما ونـارا ،
كأن حياتـي فـراغ الفـراغ
وبدء النهـاية !
كأن حياتـي ....
مفازة رمـل ، وتيـه
بغـير هدايـة !...
لانـك لسـت معـي ...
أحس وجودي ضلالا ...
ووهمـا ...

لانك انت وهبت حياني
وجـودا ومعنـى ...
فمن أجـل عينيك
احيـا وافنـى
واشعر اني غني ... غني
واغنى !...
وباسمك أهدم هـذا الوجود ،
وابدعـه عالمـا اجمـلا ،
اطـرز اجواءه مخمـلا ...
وازرعه من بحـار العيون
هوى اخضرا ،،،
لعينيك كـي تبحـرا ...
بعيـدا ... بعيـدا
وراء الوجـود ،،...

. . .

لانك انت وهبت حياتي
وجودا ومعنى ...
سألتك كوني بقربي
لأهنـا ...
سألتك كونـي معـي
ليضحك في جانحي الربيـع ،،،
ويبسم في مقلتي الامـل ...
لابدع للحب احلى اناشيده
واحلـى غـزل ...
سألتك كوني معي ...
لابدع للحب احلى قبـل !..

# من تراثنا الماضي

**العقد الفريد ...**

العقد يهدى الى الحسناء فتتيه به دلالا وتميس أمام صويحباتها ، تحفظه في صندوقها ، يعانق جيدها ، ويلثم صدرها ، ويدغدغ شعرها .. ويتمنى العاشق لو كان ذلك العقد يحتويها ويلثم منها ما يلثم ..

وعقدنا الفريد تعتز به مكاتبنا وتاريخنا الادبي يقبل نظراتنا ، ويشركنا ساعاتنا ...

عقد فريد فيه اللؤلؤة والمرجانة والياقوتة ..

نحن نعرف العقد اللؤلؤي وعقد المرجان والماس، والجمان .. .فأي عقد عجيب هذا الذي ضم كل ما عرف من الاحجار الكريمة النادرة .

لقد تخيره ابن عبد ربه من متميز جواهر الادب ومحصول جوامع البيان .. وعمد في اختياره من جملة الاخبار وفنون الآثار الى أشرفها جوهرا وأظهرها رونقا وألطفها معنى ، وأجزلها لطفا ، وأحسنها ديباجة ، وأكثرها طلاوة .. وهو الى ذلك ينقد ويقدم لما بنقل.

فعقدنا سلك من المعرفة والأدب يضم خمسة وعشرون حبة ، اللؤلؤة والفريدة والزبرجده والجمانه والمرجانة والياقوتة والجوهرة والواسطة ...

وكل حجر كريم بموضوع وكل موضوع اختار له أجمل ما سمع وعرف مع مقدمة تحليلية منه .

رحلتنا اليوم مع جوهرة العقد ، تلك الدرة النادرة التي تزهو بين زميلاتها بما تضم من أمثال العرب ..

انها جوهرة عجيبة تخبرنا عن جل ما قالته وعرفته العرب من الامثال .. ولنستمع الى ابن عبد ربه يقدم لها . قال ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه .

... نحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الامثال التي هي وشي الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب وقدمها العجم ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان فهي أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ، ولا عم عمومها ، حتى قيل أسْيَر من مثل ، وقال الشاعر :

ما أنت الا مثل سائر
يعرفه الجاهل والخابر

« بعد هذه المقدمة يصنف الامثال على أحدث الطرق العلمية .. » .

**أمثال روتها العرب :**

وقال عبد الله بن الزبير لاهل العراق ، وددت والله أن لي بكم من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم . قال له رجل منهم : أتدري يا أمير المؤمنين ما مثلنا ومثلك ، ومثل أهل الشام ؟ قال : وما ذاك ؟ قال :

ما قاله أعشى بكر حيث يقول :

علّقتها عرضاً وعلّقت رجلا
غيري وعلّق أخرى ذلك الرجل

أحببناك نحن ، وأحببت أنت أهل الشام .. وأحب أهل الشام عبد الملك بن مروان ..

**من ضرب به المثل من الناس :**

أوفى من السموأل وأبلغ من سحبان وائل .. وأصدق من أبي ذر الغفاري ، وأعيان باقل « باقل رجل من ربيعة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما فمر بقوم فقالوا له : بكم اشتريت الظبي ؟ فمد يديه ودلع لسانه ، يريد أحد عشر ، فشرد الظبي وكان تحت ابطه » .

**من يضرب به المثل من النساء :**

اشأم من البسوس .. البسوس : جارة جساس بن مرة ولها كانت الناقة التي قتل من أجلها كليب بن وائل وبها ثارت بين بكر بن وائل وتغلب الحرب التي يقال لها حرب البسوس ..

**أمثال أكثم بن صيفي :**

الغريب من لم يكن حبيب ... مكره أخوك لا بطل ... « هذا المثل لابي منش بيهس وكان قد أغار على قوم بيهس ناس من أشجع فقتلوا اخوته الستة ، ثم أمكنت الفرصة بيهسا منهم وكانوا في غار ، فدفع الى الغار خاله ابا حنش وقال : ضربا ابا حنش ، فقال بعضهم ان ابا حنش بطل فقال ابو حنش مكره أخوك لا بطل ... » ...

* القلم أحد اللسانين ، قلة العيال أحد اليسارين « وفي هذا المثل يلخص مشكلة تحديد النسل ومستوى المعيشة » .

* قيمة كل انسان ما يحسن ... الغنى في الغربة وطن والمقل في أهله غريب .. .

**ومن أمثال العرب مما روى ابو عبيد :**

رب كلام أقطع من حسام ، قال الشاعر :

وقد يُرجى لجرح السيف برء
ولا برء لما جرح اللسان

**في الصمت :**

الندم على السكوت خير من الندم على الكلام.. سكت ألفا ونطق خلفا .. « الخلف من كل شيء الرديء .. قيل أطال رجل الصمت عند الاحنف حتى أعجبه ثم تكلم فقال : يا أبا بحر ، أتقدر أن تمشي على شرف المسجد ؟ فقال له هذا المثل ..

**خلف الوعد :**

ما وعده الا وعد عرقوب .. « وهو رجل من العماليق أتاه أخوه يسأله فقال اذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها .. فأتاه للعدة ، فقال : دعها حتى تصير بلحاً ، فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير رطبا ، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا ، فلما أتمرت ، عمد اليها عرقوب فجزها ، ولم يعط أخاه شيئا ، فصارت مثلا سائرا في الخلق .. قال الاعشى ..

وعدتَ وكان الخُلفُ منك سجية
مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

**الاطراق حتى تصاب الفرصة :**

تحسبها حمقاء وهي باخس « يروى باخس وباخسة والمثل لرجل من بني العنبر جاورته امرأة فنظر اليها فحسبها حمقاء لاتعقل ولا تحفظ ولا تعرف مالها .. فقال لها : الا أخلط مالي ومتاعي بمالك ومتاعك ليخدعها ففعلت ، ثم قاسمها بعد ذلك فلم ترض عند المقاسمة حتى أخذت متاعها ثم نازعته وأظهرت له الشكوى حتى افتدى منها بما أرادت » .

**الذي تعرض له الكرامة فيختار الهوان :**

قيل للشقي : هلم الى السعادة ، قال : حسبي ما أنا فيه .

**المكافأة :**

أضيء لي أقدح لك .

**حماية القريب وان كان مبغضا :**

كفك منك وان كانت شلاء .

**اعجاب الرجل بأهله :**

حسن في كل عين ما تود .

**الرجل يؤتى من حيث أمن :**

من مأمنه يؤتى الحذر ..

قول العباسي بن الاحنف :

قلبي الى ما ضرني داعي ماداعي
يكثر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا
كان عدوي بين أضلاعي

**الصبر على المصائب :**

المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان .

بصُرت بالراحة العليا فلم ترها
تُنال الا على جسر من التعب

**الانتفاع بالمال :**

خير ما لك ما نفعك .. ونظر ابن عباس الى درهم بيد رجل فقال : انه ليس لك حتى يخرج من يدك .

قال الشاعر :

أنت للمال اذا أمسكته
فاذا أنفقته فالمال لك

**الاستخبار عن علم الشيء وتيقنه :**

ما وراءك يا عصام ؟ أول من تكلم به النابغة الذبياني لعصام صاحب النعمان وكان النعمان مريضا فكان اذا لقيه النابغة قال له :

ما وراءك يا عصام ؟.

**الاخذ في الامور بالاحتياط :**

ومنه الحديث المرفوع عن الرجل الذي قال أ أرسل ناقتي وأتوكل ؟ قال : بل اعقلها وتوكل .

**توسط الامور :**

لا تكن حلوا فتؤكل ولا مرا فتلفظ .

**الانابة بعد الاجرام :**

التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

**من ابتلى بشيء مرة فخافه أخرى :**

منه الحديث المرفوع : لايلسع المؤمن من جحر مرتين ، « يريد انه اذا لسع مرة منه تحفظ من أخرى هذا المثل قاله النبي صلى الله عليه وسلم لابي غرة الشاعر ، أسره يوم بدر ثم من عليه ، وأتاه يوم فأسره فطلب أن يمن عليه فقال عليه الصلاة والسلام هذا المثل .

**اتباع الهوى :**

الهوى اله معبود .

**المشورة :**

لا يهلك امرؤ عن مشورة .

**التأني في الأمر :**

قد يدرك المتأني بعض حاجته .
وقد يكون مع المستعجل الزلل

**الشره للطعام :**

وحمى ولا « حبل » أي لا يذكر له شيء الا اشتهاه كشهوة الحبلى ..

**كفران النعمة :**

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رماني

**الرضا بالبعض دون الكل :**

زوج من عود خير من قعود . ومنه قولهم اذا لم يكن شحم فنفس ( في مجمع الامثال نفش ) أصل هذا ان امرأة لبست ثيابا ، ثم مشت وأظهرت البهر في مشيتها بارتفاع نفسها ، فلقيها رجل فقال لها : اني

أعرفك مهزولة ، فمن أين هذا النفس ؟ قالت : ان لم يكن شحم فنفس .

**المصانعة في الحاجة :**

من يطلب الحسناء يُعط مهرها .

**اليأس والخيبة :**

أطال الغيبة وجاء بالخيبة ..

**أمثال عامة :**

لا تسأل الصارخ وانظر حاله « يريد لم يأتك مستصرخا الا من ذعر أصابه فأغثه قبل أن يسألك » ..

« أغيرة وجبنا .. » قالته امرأة من العرب لزوجها تعيره حين تخلف عن عدو في منزله ، ورآها تنظر الى قتال الناس فنتر بها .. فقالت : أغيرة وجبنا .. .

* قَبُح والله منا الحسن .. أي بلغ من ذم الناس لنا أن عابوا محاسننا .

**سوء معاشرة الناس :**

الناس يعيرون ولا يغفرون والله يغفر ولا يعير ..
وقال ما لك بن دينار .. من عرف نفسه لم يضره قول الناس فيه .

**الاستدلال بالنظر على الضمير ..**

فان تك في صديق أو عدو
تخبرك العيون عن القلوب

**أمثال مستعملة في الشعر :**

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وان رسول الله سمع هذا البيت فقال ان معناه من كلام النبوة :

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها
ولا تجود يد الا بما تجد

وقولهم :

صل من هويت وان أبدى معاتبة
فأطيب العيش وصل بين الفين

مهلا يا قارئي الحبيب لا تزهو كثيرا بعقدك الفريد فأنا أملك عقدا وفريدا أيضا ...

وسأعرضه عليك وأترك الحكم لك ...

**عقدي الفريد :**

على المنكب الحلو نامت جديله
كحلم ، كنعمى ، كآه طويلة
كليلة صيف
وقطرة طيف
كعنقود زهر بصدر الخميلة
أشعة لون تجسَّد خصله
تعانق فجرا ، تناثر حوله
تألق جيدا
وعقدا فريدا
وشامات حسن تناديك : قُبله
اليك أتيت
بهدي مشيت
تباركت من أنت ؟ قالت ( .... ) !
كيف وجدت عقدي ... بربك ؟ أليس عقدا وفريدا .. أليس من حقي أن أزهو به وأعتز ..

# ضيف الثقافة

**اذا أردت أن تتعرف في بلد نوع ادارته ومبلغ حظه من المدنية فاسمع موسيقاه «كونفوشيوس» .**

عبقرية من بلادي ملأت دنيانا المضطرمة حبا وابداعا .. عبقرية لم تعرف اضواء القصور ولا الزلفى الى الملوك والاجراء وأصحاب النفوذ ، ولم يخضع صاحبها في فنه ولا في شخصيته لرضى عظيم أو غضبه ، فبقي وهو ابن الشعب ، ينتج للشعب ويترجم عن مشاعره .

فنان شب في أحضان القلق الشعبي المتبرم بما كان يكتنف بلاد العروبة والشرق من عدوان المستعمرين ومطامعهم على اختلاف دولهم وأساليب طغيانهم .

عبقرية حررت الموسيقى العربية من التزام الصيغ القديمة الموروثة والتقيد بانتقالات تقليدية ... فنان طريقه بين الاشواك واستطاع أن يجتاز المخاطر والعقبات فأحرز في الفن غاية لم يبلغها سواه دون أن يتخرج من مدرسة ممدودة الجدران بل كانت مدرسته واسعة الافق بعيدة المدى تلك هي مدرسة الحياة والتجربة .

ويملأني تيها أن يكون هذا الفنان العبقري (سيد درويش ) ورائد الموسيقى اعربية وسيد اللحن بلا منازع ضيفي هذا الشهر .. بل أول ضيوفي الذين أعتز وتعتز بهم مجلتي وبلدتي ..

وضيفي العبقري الذي انتقاه الموت شابا يعيش معي ، احدثه ، أسأله ، أستمع اليه ...

وأردتك يا قارئي الغالي أن تشركني هذا اللقاء لعلك تُطرب للموهبة المدهشة ، والطموح الثائر ، والعمل المستمر ، والعطاء السمح .

تعال معي الى محراب الفنان القدسي ، تمهل بربك ، اغلق الباب بصمت ، فضيفنا مرهف ..

دخلنا الهيكل الملائكي فتحولت دنيانا الى انغام وتغريد .. آلات حديثة ، دور قديم بثوب جديد ، صوت العامل ، وجهد الفلاح ، وتذمر الموظف ، وتحدي المرأة ، وثورة الشعب ، وحكاياه وأساطيره ، تحولت ألحانا فخلدت وخلد معها ضيفنا ...

انظر معي ، شعر بمقدمنا ، ها انه يلتفت الينا تاركا عوده الذي اطرب به الوطن ...

اقتربت بحذر وركعت بين يديه ، فمات الحرف في حنجرتي والسؤال في فمي ، وكأنه عرف ما أريد فمرر يده المبدعة على شعري وتمتم ... :

أهلا .. أهلا .. اني معك ..

فانطلق حرفي من أسره ودهشته .. وسألته بكلمات متعثرة .

ـ ماذا لو حدثتني عن طفولتك ..

ـ فشرد بعيدا بعيدا ، طفولتي ؟.. كانت في حي

شعبي ( كومة الدكة ) يتوسطه مدينة الثغر ، من أسرة فقيرة ومن أب درويش البحر يجتمع في حانوته أهل البلد للسمر والحديث عن السياسة وشرور الغاصبين المستعمرين وكراهيتهم لهم . في هذا الجو كان ميلادي عام ١٨٩٢ ..

وتوفي الوالد والسند ولم أتجاوز السابعة وانتقلت من كتاب الى كتاب ومن مدرسة لاخرى وأول لقائي مع اللحن كان في الخامسة من عمري .. لاتدهشي يا صغيرتي انه القدر .. عرفت ( سامي أفندي ) في كتاب ( السيد حلاوة ) فآثرني على الجميع وأعطاني صلاحية تمرين أقراني على الاناشيد .. ثم التقيت به ثانية في كتاب شمس المدارس .. وتعلمت الاناشيد في مدح المليك التي كانت منتشرة ..

يا مليكا بالسجايا الغر ساد

بالعلا والعدل أرضيت البلاد

وهكذا شغفت باللحن وانصرفت اليه ، انتقل من حفلة مولد الى ندوة فرح ، ارتديت زي القراء المعممين وتابعت تجويد القرآن وأذنت بمسجد الشوريحي ..

وبالطبع تتيجة ذلك تلقيت هدية كبيرة .. هدية فصلي من المدرسة .. نعم فصلت من المدرسة ورسبت بدروسي .. فلا مكان بالمدرسة لطالب لا يستظهر الكتب ..

ثم تزوجت وأنا بالسادسة عشر من عمري ، وقاتل الله الفقر فانه يدفع الناس الى غير ما يحبون . فتشت عن الرزق وتعثرت كثيرا وعملت في المقاهي الحقيرة بين المستهترات الرخيصات ، وكان لزاما علي أن أتتقل من المدائح الى الاغاني الشائعة : وهي أحيانا أغان مسفة ـ وكنت أكتفي من هبات السكارى وفي أكثر من أمسية كان نصيبي خمس قروش ..

وهنا صمت فجأة وتطلع الي وقال :

ــ ماذا تريدين أيضا ..

فاقتربت منه أكثر فأكثر وهمست :

ــ ان البيئة تخلق الفنان ... الا ترى معي ان هذه البيئة هي التي أثارت عبقريتك وجعلت لفنك طابعا خاصا .

ــ معك الحق ... لقد انتشرت أغاني وتقبلها الجمهور وأقبل عليها . لانها أغانيه هو .. فأنا ابن الشعب صورة عن الشعب الذي ولدت في وسطه ، وألحاني صدى صوته ولغته وعواطفه ومناظره .. صدى لصوت فلاحه وعامله . وثائره ومحترفي الصياح والضجيج من مرتادي المقاهي البلدية .. انسابت أصوات شعبي الى نفسي واستقرت هناك وتفاعلت مع غيرها .. كنت أسمع الاصوات من أعماقي، من كياني كله وطبيعي أن تنطلق أغنية دافئة ولحنا عربيا أصيلا ... اسمعي ماذا تشعرين وأنت تسمعين هذا اللحن .. ودندن على عوده ..

لحن الصنايعية :

الحلوة دي قامت تعجن في البدرية

والديك بيدن كوكو كوكو في الفجرية

يلا بنا على باب الله يا صنايعية

يجعل صباحك صباح الخير ياسطى عطية

☆ ☆ ☆

طلع النهار فتاح ياعليم

والجيب ما فيهش ولا مليم

مين في اليومين دول شاف تلطيم

زي الصناعية المظاليم

الصبر أمره طال

وايش بعد وقف الحال

ياللي معاك المال

برضه الفقير له رب كريم

كذلك لعب القدر بحياتي دورا هاما . فهو الذي ساقني الى كتاب السيد حلاوة لالتفي ( بسامي أفندي ) والقدر شدني ثانية الى مرتلي القرآن ـ ثم ابتسم لي عندما سمعني ( سليم عطا ) وكنت عاملا أطلي أحد الجدران وأحث العمال بالغناء على العمل .. فأعجب بي وألحقني بفرقته واصطحبني الى الشام حيث التقيت بكثير من الفنانين ...

لكن دعيني أهمس لك ان شعبي وبيئتي وانفعالاتي هي سبب خلودي رغم المرارة التي قضيت فيها سنواتي .

ـ بربك الا حدثتني عن مرحلة نضجك وعطائك ..

ـ عطائي .. كانت وسيلتي لكسب العيش اقامة حفلات الغناء التي كانت وقفا في ذلك الحين على المقاهي المسفة تارة والراقية اخرى مثل ( ألف ليلة وليلة ) في القاهرة .

ثم عملت بعد عودتي من الشام بتلك الرحلة الموفقة الى استكمال فرقتي الخاصة وعمل معي طائفة من الفنانين البارزين امثال ( الشيخ علي ابراهيم ) ضابط ايقاع ، ( وجميل عويس ) عازف كمان .. ثم لجأت الى العود أكمل ثقافتي بتوجيه ( الحاج سالم ) .

وقد تعجبين انت وغيرك وتتساءلين عن سبب عمق التعبير وصدقه بالحاني ـ واني اخبرك ان كل ما ألفته كان بمناسبة واقعية بل اني اعتبر كل لحن تاريخا لحادث معين . فكنت أنفعل وأنا ابن الشعب بحوادث الشعب .. واعيدها لحنا وكثيرا ما وضعت انا كلمات الاغاني ، فقد سمعت مرة الزعيم ( مصطفى كامل ) يقول .. بلادي بلادي لك حبي وفؤادي .. فجاريت الوزن والقافية واتحمت الكلمة ووضعتها نشيدا :

| | |
|---|---|
| بلادي بلادي | لك حبي وفؤادي |
| مصر يا ست البلاد | أنت غايتي والمراد |
| وعلى كل العباد | كم لينلك من ايادي |

ثم سلكت الدرب الوعرة ووضعت أدوارا وجددت فيها ..

يااللي قوامك يعجبني .
يا فؤادي ليه بتعشق .
في شرع مين .
عشقت حسنك .
ولحنت كثير من الطقاطيق ..

زوروني كل سنة مرة
ياختي عليها وعلى بطتها
طلعت يا محلا نورها
يا بلح زغلول
صح النوم ما تقوم يا حبيبي .

ولو كنت تفهمين بالموسيقى لذكرت لك التجديد بالحركة . والايقاع والاداء والهتك .

فخجلت من جهلي وجمد الحرف على ثغري ؛ او ضاع فمي ...

وقبل ان اهمس بكلمة . قال: اعرف ما ذا تريدين ؟ أي اعرف السؤال .. .

ـ ما هي قمة أعمالي وسنوات نضجي .. ؟ اليس كذلك ؟

ـ ست سنوات اعطيت فيها افضل ما اعطيت من غناء مسرحي وادوار ومقطوعات ، عملت مع أكثر من فرقة ..

واليك المسرحيات التي لحنتها والفرق اتي مثلتها .

فرقة جورج ابيض ـ فيروز شاه ـ الهواري

فرقة الريحاني ـ دلو ، اش ، قولوا له ، فشر العشرة الطيبة .

فرقة الكسار ـ دلسه ، راحت عليك ، ام اربعة واربعين ، البربري في الجيش ، مرحب ، الانتخابات ـ

فرقة منيرة المهدية كليها يومين ، الفصل الاول والنصف الثاني من اوبرت كليوباترة ومارك انطونيو ( اتمها عبد الوهاب ) .

فرقة اولاد عكاشة ـ عبد الرحمن الناصر ، الدرة اليتيمة ، هدى

فرقتي الخاصة ـ شهر زاد . البروكة ، ( وهما والعشرة الطيبة اعلى ما وصل اليه فني ) .

ولقد بلغ انتاجي في الغناء المسرحي مائتي لحن ...

لم اصدق ما اسمع اانا بحلم . فنان يلحن لجميع فرق البلد وأي بلد ؟ وأي لحن ؟.. لحن اصبح على كل لسان ، وامتلأت به الدور والطرقات ، يتغنى بها الفتى وتعزف بها الفتاة في خدرها وينشدها الحادي ويستعين بها الفلاح في حقله والعامل في معمله .

عانقته بنظراتي المعجبة وتمتمت سؤال آخر .

ـ ارجوك اخبرني عن ثورتك وتجديدك ...

ـ نغمي صوت شعبي كما ذكرت لك ، صوت فلاحيه وعامله .. سمعت مرة بائع البلح فالتقطت النغم وطلبت من صديقي ان يضع لي كلمات زجلية على لسان بائع البلح ـ وكنت مرة في منزلي سعيد بين اسرتي فسمعت بائع الطرشة ( مخلل ) فأسرعت وتبعته بين شوارع القاهرة .. وكنت الحق السقايين والعتالين والنشالين ، والجزارين ...وكل هذا ضمنته مسرحياتي .

ثرت مع كل الناس وصورت ثورتهم وعشتها ، لقد سبقت النهضة النسائية بسنوات وسنوات فاسمعي معي ..

دا وقتك دا يومك
يابنت اليوم
قومي اصحي من نومك
بزياداك نوم
وطالبي بحقوقك
واخلعي م اللوم
ليش ما نكونشي زي الغريبة
ونجاهد بحياتنا بحرية
شطارة شاطرين
قدارة قادرين
مين في دردحتنا
وخفتنا دي مين
ليه جوزي يتعب تمللي
ليه يشقى وانا قاعدة في محلي
اتعاون في حياتي وحياته
وتروق له العيشة وتروق لي
اشمعنا في اوربا الستات
لهم صوت في الانتخابات
احنا كمان لازم نفوقهم
حنا في بلادنا ونبقى فوقهم
المصرية في نشأتها
ما فيش زيها ست في بيتها
ان كان في محبة بلادها
أو في تربية اولادها

وشرد بعيدا في غيوم أفكاره وقال .. ثلاث فرسان كوني حياتي .. بديع خيري ، وامين صدقي ، وبيرم التونسي ...

فتمتمت بخشوع ، ارجوك لا تتركني ..

ـ ماذا تريدين ؟

حدثني عن ثورتك الوطنية .

ثورتي ، حياتي ثورة ووجودي ثورة ومالاقيت ثورة .. خلقت مع الثورة في الشارع في البيت في افكر ، في السياسة في الوطنية .. ثورتي عاشها الفلاح والعامل والموظف .. فسر حياتي صورة لكفاح شعبي ونضاله .. ففي مسرحية واحدة كشهرزاد تجدين ..

لحن أحسن الجيوش في الامم جيوشنا .. دقت طبول الحرب يا خيالة ، ولحن الجيش رجع م الحرب بالنصر المبين وغيرها .

فهذا جندي ثائر ينشد في مسرحية الهلال :

نحن الجنود زي الاسود
نموت ولا نبعشي الوطن
بالروح نجود بالسيف نسود
على العدا طول الزمن
الحرب ديننا وطبعنا
والسيف ابونا وامنا
نحفظ كرامة شعبنا
بعمرنا ، بدمنا
صوت السلاح يوم الكفاح
في عرفنا ، في سمعنا
حلو النغم
لازم نعيش طول عمرنا
في أرضنا احرار
ورافعين العلم

وانك تعرفين نشيد شوقي الذي هذا الدنيا بكلماته .. ونلت جائزة على لحنه ..

بني مصر مكانكمو تهيا
فهيَّا شيدوا للملك هيا
لنا وطن بأنفسنا نقيه
وبالدنيا العريضة نفتديه
اذا ما سيلت الارواح فيه
بذلناها كأن لم نعط شيئا
لنا الهرم الذي صحب الزمانا
ومن جدثانه أخذ الامانا
ونحن بنو السنا العالي نمانا
اوائل علموا الامم الرقيا

فقلت له بخشوع ، بربك ماذا لو حدثتني عن مغامراتك وحياتك الخاصة . فلم يجب .. فضحكت بخبث وقلت العالم كله يعرف هذا ..

فانا أعرف انك كنت تحب فتغرق في الحب بل انك جمعت اكثر من حبيبة في وقت واحد . وهذا شأن الفنان غالبا .. فشوبان يقول : « ان المرء يستطيع ان يحب في وقت واحد اكثر من محبوب واحد » فالفنان يجعل فنه ريشة للجمال فاذا رأى زهرة جميلة استهوته بفتنتها دونأن يؤثر ذلك فيجمال زهرة اخرى لها اثرها بنفسه ، انه يطير باجنحة النحلة حول الازهار كلها في وقت واحد او اوقات متعاقبة ..

فرنا الي وهمس ..

عشقت بعمق عشقا ملأ على حياتي .. عشقت الصوت العذب واللحن المتماوج .. وشغلت بفني حتى عن نفسي واهلي ، احببت ابنة الجيران وعقدت عليها وهي أم ولدي ومع ذلك نسيت في نشوة استغراقي بالنغم موعد زفافي ، حيث الزينة والافراح ، وانتصف الليل وانا بين الالحان واهلي يقلبون الدنيا بحثا عني واهل العروس في مأتم مما اصابهم .. فالفن شغلني حتى عن ليلة زفافي فكل لحن كان زفاف جديد وفرح كبير ..

عمل وضجيج ومسؤولية واصدقاء وفرقةخاصة وفرق عامة . وارتباط عائلي وارتباط قلبي باكثر من حب كل هذا كان وقود العبقرية ونهاية الفنان العملي ..

تلاشى النور ، وجمد الحرف ، وخرس اللحن ، وانتهى الامل ، ورحل ضيفنا ، رحل الى المجهول ..

البقية على الصفحة (٤٨)

# الركن الهادىء

النـــازحـــة ...

بلادي زمانـا طويلا .. أذلك الغاصبون ..
زمانـا طويلا .. أذلنا الغاصبـون ، أذلوا انسانيـة الانسان فينـا ...

أذلنا الغاصبون أم أذللنا أنفسنا ؟؟..

انسان بلا وطن ، انسان بلا بيت ، انسان بـلا ذكرى ، بلا جذور ...

أجل أنا اللاجئة بلا أرض ، بلا بيت بلا ذكرى...

أجرجر ذلي وأرتدي عاري وأحمل أشلاء شقائي وأرحل من بلد الى بلد ، أطلب العون ، استجـدي الحياة ، ألملم ما يجود به الآخرون ...

أنظر حولي ماذا أرى ؟.. ماذا أسمع ؟.. اسمع وعودا وكلاما وأرى مسرحيات ومهازل أرى اسـم بلادي أغنية ترددها شفـاه مبتورة .. فيطرب لهـا المغتصب ويقهقه فتردد الدنيا سخريته ..

لهم الاغنية ولي الارض ..

لهم الكلام والصياح ولي المـاء والبرتقال ..

لهم البكاء والجدال ولي التخطيط والاعمال ..

فأرتجف وأدفن رأسي في العار .. أنا نازحة .. نبتة هجينة مخلوعة من أرضها مغروزة فـي الارض الغريبة ... أملك دمعتي وحسرتي وأمنيـة دفينة في أعماقي ...

أعدني اليهـا ولو زهرة يا ربيع .. زهرة صغيرة تنمو في التراب الخضيب تعانق النجم ، ترنـو الى الشاطىء المتعب، شاطىء يافا الحبيب .. تسمع عتاب البحر وهمس البرتقال الموزع في كل البلدان ... لاجئة صغيرة تصلي في محراب ذلهـا وحرمانها .. تبتهل لموطن لا تعرفه ودرب تتمنى الحياة بظل ظله .. ويسخر القدر ، أتعيد الصلاة موطنـا سليبا .. أيطرد الدمع مغتصبا ... وتفزع العابدة في هيكلهـا وتصيح .. انها بلادي .. انهـا بيارتي .. انها داري ومهد طفولتي وذكرياتي .. فيبتلع الظلام صياحهـا ويحمله بعيدا بعيدا ويجعل منه معملا جديدا يرتفـع في الوطن السليب وموجـة مال وخبراء تتـدفق على البلد الذليل وتبقى النازحة الصغيرة امنية مصـلوبة على شجرة برتقال لم تذق طعمه .

ولعنة مريرة على شاطىء لم تطأ أرضه .. وأغنية ميتة تتردد على كل لسان .

الارض لهـم والتشرد لي

الشاطىء لهم والخيمة لي

العمـل لهم والدمـع لي ....

☆ ☆ ☆

**ستعرف فضلي**

**أنا أعطيك الذي ليس يعطى**

**من حيـاتي**

**وأنت حاولت قتلي ...**

أعطيته حبي ووجودي . أعطيته كياني ودموعي.. أعطيته فضيحتي وشؤوني ... أعطيته الذي منعتـه عن العالم بأجمعه .. وكنت دنياه العبقة ..

دنيـاي ... دنيـاي .. كان هذا اسمي لديه ..

وكانت لحظة ..

ولم يبق غير الاسم في يدي . .

**لاتلامس يدي .. بغير شعور**

**عندك الآن**

**من تحل محلي ...**

**سأصلي لكي تكون سعيدا**

**في هواهـا**

**فهل تصلي لأجلي ؟**

أصلي ...

صلاتي دموع .. صلاتي لن تصل اليك ..

أصلي من أجلك وأجلي

أصلي خوفا عليك ..

خوف حقدها وحبي ...

حقدها على انسانة أحببتها يوما .. وعشت معها الحب غنيا دافئا .. انسانة ملكت عليك دنياك يوما .. درت في فلكها وتهت في دربها ، وسكرت من نشوتها..

لن تفهم الغريبة الدمية الملونة هـذا .. ستحقـد عليـك ..

**أنت طفلي الصغير**

**أنت حبيبي**

**كيف أقسو على حبيبي وطفلي**

**هي .. في غرفة انتظارك**

**فاذهب !**

**بين أحضانها ... ستعرف فضلي ..**

رائـع طفلـي .. رائع حبيبـي .. رائع حبـك يا أميري ..

بين أحضانها .. ستعرف فضلي ..

لا .. لا .. لا استطيع رؤية غيري بين يديك، غيري تحضن حنانك وتنعم بحبك ..

هذا خوف قدرتي على الاحتمال ..

وأكبر من وجـودي لا أستطيع ..

اذهب الى غيري .. اذهب اليها .. فاترك لـك البيت والوطن .. اترك لك الحب والحنان .. أتركك وأهرب بعيدا بعيدا ..

أهرب الى الوحدة والضياع الى الضجر والظلام ..

فالدروب العاتمة تعرفني ..

والزوايا البعيدة تناديني ..

أتركك وأعـود ... أعود الى الوحـل . .

الوحل الذي غمرني سنوات وسنوات ...

الوحل الذي أنقذتني منه بل حبـك أيها الغـالي انقذني منه وطهرني وسما بي الى دنيا ما عرفهـا انسان قبلي وقادني الى دروب لم تطأها أقدام عـابد بعـد ..

أذهب اليهـا فأعود الى دنياي الدبقـة ، دنيـاي الفارقة في التفاهة والقذارة ..

دنيا الشقاء والمحرومين دنيا السكارى الضائعين..

دنيـاي أنـا .. أنا الشقية الضائعة ... أنا التي أبحث عن الروائح العفنة والحكايا النتنة ...

انني بحاجة الى السكر والضياع .. وليس كالوحل اللزج دواء الي .. ولكن لا .. لا لن أعـود أعجز عـن ذلك .. لا لن أعود وبين جنبي قلب عاشق ، يرتل اسم الحبيب .. لن أعـود ... فحبي تميمه تحميني مـن الانحدار .. والعودة لدنيا الغرباء ..

لا لـن أعود ..

سأعيش حبي وذكرياتي ... أعيش انطـلاقي .. وابداعي ..

انطلاقي مع الحب ..

وابداعي في ارضاء الحبيب ..

وأنت قد ترضيك الدمية الملونة ..

بثوبهـا العاري الصدر ، والوردة الحمراء المغروسة في شلالها المتموج ورنين ضحكتهـا فترقص معها ليـلة ليلتين ثلاث ، تسمعها تتحدث عـن الثوب والزيـارة والخادم ، نفس الحديث والسؤال .. فتنسى نفسك وعالمك ... ولكن سرعان ما تمل .. وتحن الى الهـدوء وانطلاق الفكر .. تحن الى زهرة ياسمين ، شرفة مظلمة وكرسي وحيد .. تحن الى انسانة عاشت معك سنوات وسنوات ولقيتك آلاف المرات .. وكانت في كل مـرة انسانة جديدة تدهشك همستها الدافئة ، وحركتهـا الناعمة وعطاءها السمح ونشوتها المشبوبة .. انسانة تفهم حتى ما تخفيه عن نفسك وتدرك أصغر انفعالاتـك وتلبي اشاراتك .. فتهرب من الضجيج والاصـوات المرتفعة وتلجأ الى محرابها المقدس وضوءها الخـافت وكأسها المحطم..ورسائلها الفنية.. ونداءها الدافىء..

انسانة انطلقت معها بدنيا الفـن لملمت لها النجـوم وصهرت النشـوة ..

ولكـن لا .. انك اسـير الدمية الملـونة والشعر المتموج ..

وهكذا .. أعيش أنا الحب والابداع ..

واللحن والحنان وتعيش أنت مع الـدمى والثرثرة والضجيج .

**هي في غرفة انتظارك ..**

**فاذهب ..**

**بين احضانها ستعرف فضلي ...**

# احب فيك بلادي

عاد انساني الى دمشق ...

دمشق الشمس والحنان .. دمشق الشوق والدلال .. دمشق الحب والجمال .. عاد وحيدا يجرجر كآبته ، يحبس دمعه يلملم فشله ...

عاد وسخرية من حوله تصم اذنيه. وتدمي روحه.. أين فتاتك الشقراء ؟ اين من بنيت لها البيت، وخاصمت الاهل .. اين من حملت اليها الهدايا والوعود وتركت من أجلها الانسانة الصديقة .. تركتها لحرفها ودمعها ووحدتها .. ويتعالى الضحك وتشتد السخرية ويدور الهمس ... رفضته تلك الغريبة ، رفضته مع بلاده وحبه ، فلا مكان لها بدمشق ، بل لا مكان لحبيبها ( الكلب ) فكلبها لا يعيش بلا ناد وحلاق وطبيب .

ودمشق المطمئنة في احضان قاسيون لا تعرف ما يسمى بنادي الكلاب ولا تجد من يحلق ويزين شعر الكلاب ..

وليس من المعقول ان تعش ابنة الرين في بلدة متأخرة لا تخطي كلابها باحترام لائق وصحبة ممتعة في ناد أنيق .. أو يمكن لكلب ان يحيا بلا ناد وحلاق وطبيب ، اين يمضي اوقات لهوه ، من يتعهدمرضه ويعنى بشعره .. لا .. لا .. ما شأنها بالحبيب ووعده ، ما شأنها بانسان اتاها راكعا من اقصى الدنيا . ستبدله بآخر وليعود هو الى بلدته ، الى نساء بلدته المتأخرات.. توسل اليها اقنعها عبثا .. حاول ان يفهما ان في بلدته مجموعة من الكلاب وانها تعيش باطمئنان .. فضحكت بسخرية ، او يمكن هذا .. الحياة في بلده ضرب من المحال .

لم يصدق انساني ما يسمع انه يعرف الانثى في بلادي حب وعطاء وتضحية واخلاص يعرفها عابدة صغيرة تتكتل قربه ، تلثم أطراف ثوبه ، ترقبه ، تصمت ان غضب وتسرع انطلب تقول له نعم.. كما تريد .. فانت عالمي ودنياي افعل ما تشاء فحياتي حيث تكون فانا لك ... فقيرا كنت ام غنيا احبك في غيابك وحضورك احبك واحب فيك بلادي واهلي ..

يعرفها انسانة وهبته حياتها ومصيرها ، انسانة لم تطلب وعدا او شرطا ..

انسانة امنيتها في الحياة انتظاره والحياة قربه ..

ماذا يصنع ؟ كيف يتصرف .. عاد الى بلدته الى دمشق ، دمشق الذكرى والهمسة ، دمشق اللحن والرعشة .. عاد وكل ما يملكه حزمة رسائل بحضن وسادته وزجاجة عطر مختبئة بدرج مكتبه .. وكلمة ناعمة ترنو اليه ، تعاتبه وتؤنسه ، كلمة هادئة تطرز وريقة صغيرة ...

« رائحتي المفضلة .. اطمئني على الوجه الحبيب .. فهناك انسانة تعبد عبيرك على وجه انسانها » .
كلمات كل ما تبقى من هواه .. من انسانة وهبته وجودها وحياتها فقذف بها بعيدا بعيدا .. قذفها من اجل غريبة رفضته مع حبه وبلاده .

والعابدة الصغيرة تعيش آلامه ومشكلته وتتمنى مشاركته وعونه ، ترجو الاله بشفاه بريئة أن يكون له سندا ..

تبكي بصمت ، تصلي بخشوع فالحبيب يتألم .. وتتمنى لو تستحيل شعاع أمل ينير دربه ، نفحة عطر تضمخ أفقه .

فيحضن الظلام صلاتها ، وتردد الاشجار توسلاتها .

# بين القديم والحديث

**الى بثينة :**

... ويكون يومٌ لا أرى لك مُرسلاً
أو نلتقي فيه ، عليَّ كأشهر
يا ليتني ألقى المنية بغتة
ان كان يوم لقائكم لم يقدر
لا تحسبي اني هجرتك طائعاً
حدثٌ لعمرك رائع أن تُهجري.
يهواك ، ما عشتُ الفؤاد ، فان أمت
يتبع صداي صداك بين الأقبر
اني اليك بما وعدت لناظرٌ
نظر الفقير الى الغني المكثر
ما أنت والوعد الذي تعدينني
الا كبرق سحابة لم تُمطر

**جميل بثينة**

**للمتنبي :**

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها
في ليلة فارت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها
فارتني القمرين في وقت معاً
سألتها عن فؤادي اين موضعه
فانه ضلّ عني عند مرآها
قالت لدنيا قلوب جمّةٌ جمعت
فأيها أنت تعني قلتُ اشقاها

**حديث قبلة :**

تسائلني حلوة المبسم :
متى أنت قبلتني في فمي
تحدثت عنّي وعن قبلة
فيالك من كاذب ملهم
فقلتُ أعاتبها : بل نسيت
وفي الثغر كانت وفي المعصم
فان تنكريها فما حيلتي
وها هي ذي شعلةٌ في دمي
سلي شفتيك بما حستاه
من شفتي شاعر مغرم
ألم تغمضي عندها ناظريك ؟
وبالراحتين ألم تحتمي ؟
هبي أنها نعمةٌ نلتها
ومن غير قصد .. فلا تندمي !
فان شئت أرجعتها ثانيا
مضاعفة للفم المنعم
فقالت وغضت بأهدابها :
اذا كان حقا فلا تحجم
سأغمض عينيَّ كي لا أراك
وما في صنيعك من مأثم
كأنك في الحلم قبلتني
فقلت : وأفديك أن تحلمي

**علي محمود طه**

# اخبار الادب

تصدر دار الثقافة في دمشق قريبا كتاب العقد الفريد في طبعة جديدة وانيقة ، وعملها هذا جزء من مشروع يهدف الى بعث التراث العربي القديم واخراجه بشكل عصري يجعله في متناول الجميع .

— اقيم في ادلب تمثال للزعيم ابراهيم هنانو نحته المثال احلبي وحيد استانبولي .

— مر ببيروت خلال عودته من الهند الدكتور محمد عزيز الحبابي ، عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية في الجامعة المغربية ومدير مجلة آفاق . والحائز على جائزة عالمية عام ١٩٥٥ عن كتابه من الحرف الى الشخص .. وله الى جانب ذلك عدة مؤلفات أهمها بؤس وضياء . ومن المغلق الى الارحب .

انهى الاديب نظارب نظاريان ترجمة « انشودة الخبز » للشاعر الارمني طابيل فادوجان .

— تشكلت هيئة تحرير مجلة « الكويت » التي تصدرها وزارة الارشاد والانباء الكويتية على الشكل التالي : صالح شهاب رئيس الوزارة المساعد لشؤون الثقافة والنشر رئيسا ، ومحمود الحوت وعبد الرزاق البصير أعضاء مساعدين .

— وافق جلالة الملك فيصل على انشاء معهد عال بالرياض للتخصص في دراسة الفقه الاسلامي وسيضم المعهد خريجي الكليات الاسلامية بالمملكة .

— تجري مباحثات بين المسؤولين السعوديين في وزارة المعارف لتعديل المناهج الدراسية لكليتي التربية والشريعة .

— وصلت جدة بدعوة من وزارة الاعلام السعودية بعثة صحفية سورية للزيارة ومشاهدة آثار النهضة الحديثة في البلاد .

— يصدر قريبا للسيد محمد احمد محجوب وزير خارجية السودان ديوانا شعريا يضم قصائده الجديدة. اسم الديوان « النيل »

— يعد الشاعر محمد الفيتوري صاحب ديوان « اغاني افريقيا » ديوانا جديدا سيدفع به للطباعة قريبا .

— « في النقد المسرحي » كتاب للناقد فؤاد دواه ، يصدر قريبا عن الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة

— كتاب « الايام » للدكتور طه حسين يجري طبعه الآن على اسطوانات مصرفون .

— الدكتور طه حسين اعتذر عن عدم استطاعته حضور مؤتمر الادباء العرب الذي يعقد في بغداد اعتبارا من ١٥ شباط (فبراير) المقبل .

— نال الاديب السكندري فكري بطرس الجائزة الاولى ( الف جنيه ) في مهرجان الكتاب العربي وذلك عن كتابه « فنانو الاسكندرية » وقد تناول المؤلف بالبحث حياة جميع الفنانين البارزين من ابناء الاسكندرية منذ ١٢٠ سنة ابتداء من المظ وسلامة حجازي وسيد درويش حتى ادهم وسيف وائلي .

— صرح القاص المصري الدكتور يوسف ادريس بأن احسان عبد القدوس : يكتب للجنس لكي يقرأه الفتيات والفتيان في س معينة ، ثم ينصرفوا عنه

حينما يحسون ان هناك فنا قصصيا بالمعنى الصحيح ..
وان كتاباته تقدم تسلية لجمهور المراهقين والمراهقات.
وقال : ان كتابات احسان تذكره ببعض المطاعم التي اشتهرت بتقديم المشتهيات لروادها ، فهم يرتادونها لا بحثاعن وجبة دسمة أو مطهية بعناية ، ولكن لمجرد فتح الشهية ..

ـ تهتم الاوساط الادبية في تونس بالتحضير لمهرجان الشاعر التونسي الشابي الذي كان مقررا اقامته في العاصمة التونسية في شباط القادم ثم اجل بسبب انعقاد مؤتمر العرب في بغداد في نفس الموعد .. وقد دعي كبار أدباء وشعراء الاقطار العربية للاشتراك فيه .

ـ « اردنا الحياة » مجموعة قصصية صدرت حديثا للقاصة الشاعرة ناجية تامر . تتألف المجموعة من اربع عشر قصة مستمدة من صميم البيئة التونسية.

ـ « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » كتاب جديد صدر في القاهرة للدكتور محمد البهي .

ـ صدر في القاهرة حديثا تاريخ ابن الطبري في طبعة جديدة حققها محمد ابن الفضل ابراهيم .

ـ بعد مسرحية توفيق الحكيم « شمس النهار » التي قدمها المسرح القومي بالقاهرة ، تقدم مسرحية « سكة السلامة » لسعد الدين وهبة .

ـ صدرت في القاهرة ترجمة « الاسد » للكاتب الفرنسي جوزف كيسل وقد نقلها الى العربية ميشيل تكلا .

ـ ثريا ملحس أصدرت مؤخرا في بيروت كتابها الجديد « مخائيل نعيمة الاديب الصوفي » يمتاز الكتاب بالموضوعية والعمق .

ـ بمناسبة مرور ١٣ عاما على وفاة الاديب والشاعر اللبناني فؤاد سليمان ، فقد احتفل ببلدته فيع ـ الكورة بوضع الحجر الاساسي للمكتبة التي تحمل اسمه وقد أقيمت بالمناسبة حفلة خطابية في الجامعة الامريكية حيث عمل الفقيد استاذا للأدب العربي، وقد تكلم فيها كل من الدكتور أحمد ابو سعد ، ادفيك شيبوب، ملحم كرم، الدكتور علي شلق ، الدكتور منوال يونس ، انطوان قازان ، وربيع فؤاد سليمان .

ـ « شميم العرار » ديوان للشاعرة السعودية غادة الصحراء ، صدر أخيرا في بيروت قدم له جورج غريب ، وزينه بالرسوم الفنان رضوات الشهال .

ـ منح المؤرخ والكاتب اللبناني يوسف ابراهيم يزبك دكتوراه شرف في التاريخ والفلسفة ، من قبل « ذي ميستيريال ترينغ كوليدج » وذلك تقديرا لدراساته وابحاثه التاريخية والفكرية . للمؤرخ عدة دراسات قيمة منها « شهداء ٦ أيار » كما يصدر حاليا مجلة تاريخية اسمها « اوراق لبنانية » .

ـ صدر للدكتور جميل جبر كتاب جديد بعنوان « امين الريحاني سيرته وأدبه » الكتاب في ٢٠٠ صفحة.

ـ اجريت مؤخرا في باريس جراحة للشاعر اللبناني جورج صيدح ، وهو الآن في طور النقاهة ، تتمنى له كامل الصحة والعافية .

ـ رحب النقاد البريطانيون بكتاب « الشمس الصادقة » الذي صدر اخيرا في لندن للفقيدة ريما علم الدين ، والكتاب يضم مجموعة من قصص الفقيدة .

ـ نعت انباء لندن الشاعر الكبير ت.س.اليوت، وكان لهذا النبأ رنة حزن واسى في قلوب الكثيرين ممن يقدرون للرجل العبقري العظيم شاعريته وادبه الكبير.

ـ صدر في بيروت ديوان جديد للشاعر الفقيد بدر شاكر السياب . اسم الديوان « شناشيل ابنة الجلبي » وهو الديوان الثالث بعد ديوانيه السابقين « اساطير وازهار » « وانشودة المطر » وقد صدر

الديوان يوم وفاة الشاعر .

* الشعر عند البدو ـ عنوان دراسة ادبية شاملة عن الشعر في البادية للاستاذ شفيق الكمالي . وهذا الكتاب هو الرسالة التي نال بها الاستاذ الكمالي درجة الماجستير من جامعة القاهرة .

* آراء في اللغة العربية ـ عنوان الكتاب الذي سيصدر قريبا للاستاذ عامر رشيد السامرائي ، وقدساعدت وزارة التربية على طبعه .

* صدر مؤخرا في بغداد ديوان الشاعر رشيد الهاشمي، بتحقيق الاستاذ عبد الله الجبوري ، وقد ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه .

* صدر عن دار الكاتب العربي من ترجمة الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا كتاب « آفاق الفن » وهو من تأليف الكسندر إليوت . والكتاب قيّم في موضوعه .

* الاستاذ خليل ابراهيم العطية ينصرف هذه الايام الى جمع وتحقيق ديوان الشاعر الجاهلي لقيط بن يعمر الايادي ، وسيدفع به للطبع حال فراغه منه .

* الاديب الاستاذ محمود العبطة المحامي يستعد لطبع الجزء الثاني من كتابه عن رائد القصة الاول محمود أحمد السيد . والاستاذ العبطة اديب غزير النتاج له عدد كبير من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة .

* استأنفت مجلة ( التراث الشعبي ) صدورها من جديد ، وقد تسلم رئاسة تحريرها الاستاذ محمود العبطة المحامي . وهذه المجلة تعنى بشؤون الفولكور .

* الشاعر الاستاذ ابراهيم الوائلي يعد للطبع ديوانه الكبير الذي يضم قرابة الخمسة آلاف بيت من الشعر الرقيق في الغزل والوصف والوطنية ... والاستاذ الوائلي شاعر له مكانته بين شعراء العراق والاقطار العربية ، وهو استاذ في كلية الآداب بجامعة بغداد .

بقية المنشور على الصفحة (٤٠)

الى عالم غير مريء .. رحل ليخلد بكل لحن ثائر . وكلمة حلوة . وفكرة مبدعة . ويخفق مع كل قلب عاشق وموهبة متفتحة ، وعمل منتج ، رحل ليرتبط بنا على مر الاجيال ، نسمعه فننتشى ، نعرفه فنفخر . يشركنا عملنا وسحرنا ، وحبنا وسهرتنا ..

ماذا اسمع ؟ صوت دافيء وكلمات ناجحة ولحن رائع .

انا عشقت

انا عشقت وشفت غيري كتير عشق
عمري ما شفت المر الا في هواك
وكم صبرت ما كانش في يوم تتفق
مع ان قلبي كان اسير يطلب رضاك
خنت الوداد من غير ميعاد ان كان عناد
بلاش تغير لما تشوفني مع سواك

الدور

يا ما شربت وكنت أقول صبرك عليه
يمكن في يوم يرجع لعقله ويمتثل
لكن بقي طبعك كده وانا اعمل ايه
قلبي ما عادش يرق بعد اللي حصل
غيرك هويت، وقوام سليت حبك ياريت
كان من زمان ولا كانش حالي لدا وصل
خنت الوداد من غير ميعاد ان كان عناد
بلاش تغير لما تشوفني مع سواك

لقاء رائع مع عبقري مبدع .. عشت واياه اياما واياما .. انه معي في داري وغرفتي ، في عملي وكياني . ضيف ولا كالضيوف ...
ضيف يتمنى كل انسان لو يلتقي به ويعيش معه .

☆ ☆ ☆

# العابدة الصغيره

لم يصافحني الحبيب ويحضن يدي ...
انها نفس اليد التي كنت تقبلها بحنان وتهدهد رأسك وتمر على شعرك بنعومة ودلال اليد التي لاتزال عبقة بعطرك وسكرى من انفاسك ...

لم تصافحني وهربت الى الرصيف الآخر ، الى سيارة لم اعرف لونها .. لماذا ..؟.. اظننت اني الحقك .. لا انك واهم ايها الغالي .. ماشأني بسيارتك الجديدة وسيارتي العروس البيضاء التي طفت بها العالم ، سيارتي التي تضم حبي ورائحتي وصوتي ونشوتي مع غريب .. أجل سيارتي مع غريب ،فانظر لكل سيارة ضغيرة بيضاء ملهوفة واتأملها عليّ أجد فيها انساني الحبيبواجد قربه عابدة صغيرة تحدثه ، ترنو اليه ، تبعثر حاجاتها ، تضحك بعذوبة ...

رعاك الله ايها الحبيب ما ذنبي لاستحق ما اعاني.. امجرمة انا لانني احببت ووهبت الحب حياتي وزماني .. امجرمة انا لاني فهمت الحب تضحية وعطاءوتسامح وحنان .. امجرمة انا بحبك ايها الغالي .. أمجرمة أنا لاني ربطت الحب بالوجود فانكرني الحبوالوجود.. اني صهرت حياتي في هيكل حبي وعشب له ، اقرأ الكتاب تلو الكتاب لانتقي فكرة اخبئها بأذن الحبيب واحفظ القصيدة لاشدو بيت منها بين يديه ، ارتدي الثوب واجهد بالحصول عليه لابدو شيقة بنظره .. اسهر الليالي لاختار كلمة اطرز بها ورقة صغيرة تخضع لنظراته ..

ما ذنبي ان لاحقتني لعنة بعدك وهجرك ... اصوات تملأ الفضاء حولي .. ارحلي .. ابعدي .. فاصيح بأعماق الليل واشرد في النهار .. كيفارحل.. انه معي ، انه لي ، اني الانسانة الوحيدة التي احبها وفهمته وراعت عواطفه وسايرت جموحه الانسانة الوحيدة التي يسعى اليها ناسيا العمر والتقاليد يتسلل ليلا الى .. كشاب مراهق . ترافقه بأسفاره.. أينما ذهب يجدها قربه .. يجدها بكل انثى .. فيتهادى صوتك ويغمر الكون حولي .. مصيبتي بالحياة انت وأمي..وأتمزق انا مصيبة له .. أنا لعنة .. أنا العابدة التي تخشى ازعاج حتى الجماد أصبح مصدر مصائب .. ولمن ؟ لانساني .. انساني الذي أتمنى لو يستحيل قلبي بسمة صغيرة تفرحه . كلمة حلوة ينتشي بها ..

اني لا احتمل ازعاجه .. التصاقي به يزعجه ... يجعله يندم ، يحتار .. اني اتفجر ، أتحرق لاتسعني الدروب والبلاد .. بل لا يسعني عقلي ووجودي .. قلبي يعربد وافكاري تثور .. فلا يتحمل الجسدالناحل كل هذا فيتشبث به المرض ويمتص دمه وحيويته .. لاكنت ولا كانت حياتي ان سببت لك الضيق ايها الحبيب

سأختفي من دربك ومن درب الحياة •• لقد سئمت الحياة ايها الغالي •• ماذا يمكن أن يعطيني استمراري بها ••؟ لاشيء طبعا •••

أخذت منها كل الذي يؤخذ •• نعمت بمتع لو وزعت على اهل بلدتي لكفتهم •• سنوات من الحب الغامر •• سنوات وعبادة الحبيب غايتي •• سنوات وهو معي ينتظرني قرب البيت يأخذني بعيدا بعيدا •• يطير بي على دروب ما مر بها انسان •• سنوات والفجر يعرف لقاءنا والليل يستر خطونا ، والفجر يؤنس اسفارنا •• سنوات والبسمة الحلوة تلفنا ، والكلمة الدافئة ترشدنا الى هياكل حب جديد •

ما شأني بالحياة لارحل عنها •• لانهي مهزله وجودي ••

وفتحت عيني على فقدان حبي واستمرار حياتي بقيت لي الحياة ورحل الحبيب •• ارفض الحياة فتسعى الي اطلب الحب فيبعد •• ظننت الامر سهلا بضع دقائق وينتهي كل شيء ، وتغلق الستارة عن آخر فصل من المهزلة •• ماذا ؟•• فشلت •• فشلت بايقاف المسرحية ، مسرحية حياتي •• فشلت باخراج البطلة من المسرح •• ارتفعت الستارة ثانية عن بقية المهزلة •• بل أنت الذي أعدتني الى المسرح ••• لماذا ؟ لماذا ••؟ ما شأنك بي •• أنا انتقيت بالوقت المناسب •• لن اسامحك •• لماذا انقذتني واعدتني للحياة •• اعدتني اغنية حزينة ، حرف جامد ، قيثارة منسية ••

اعدتني واختفيت •• لماذا ••؟ لماذا ••؟ اعدتني لاتخبط في متاهات الدروب وليسخر مني الموتورون والحاسدون اعدتني جسدا مريضا وقلبا حزينا ، وفكرا شريدا ••

أعدتني لأموت كل ثانية ألف ميتة لا أرغب بها • واصبح غريبة عنك تهرب من مس يدي وسماع صوتي بل غريبة عن نفسي •• انكرتني امي واختي ومرآتي وشجيراتي •

اعدتني انسانة ثانية ، انسانة من دنيا الاموات تملك فقط قلبا محبا يطوف حول الحبيب ولا يجرؤ على لقياه ••

انسانة تملك حبا يلتهم لياليها وافكارها واوقاتها •• ولدت مجددا ايها الحبيب ماتت الانسانة التي كنتها يوما ، انها هناك تغفو على الشاطىء متوسدة زند الحبيب فيداعب شعرها ، ويحكي لها الحكايا الصغيرة •

وانا انسانة ثانية فقدت كل ما تملك وبقي لها الحب وعبادة الحبيب •• أراك تحدق ساخرا •• كيف ذلك •• فاين هذه الانسانة من عابدة الامس التي تتمسح على اعتابك كالهرة •• أين رسائلي المتأججة ولهفتي المحمومة ودمعتي الغنية •• اين انتظاري لك في الطرقات أين كلماتي الملتهبة اين عربدتي ودفيء ؟

لا تستغرب ايها الحبيب فالانسانة الجديدة تخاف عتابك وثورتك ، تخاف صدك ونزواتك ••

كمن كما تشاء ايها الحبيب فاني أحبك وأعبدك • رعاك الله ايها الغالي اينما كنت وكيفما تصرفت •

( خالدة )

# حول ادب الرمز واللامعقول

بدعة جديدة في دنيا الادب ذلك الاغراق في الرمز، وتعمد الغموض في معظم مانقرأ هذه الايام بحجة الابتكار، أو بدعوى التجديد . هي بدعة، أو هي بتعبير أصح « موضة » هذه الايام .

ولقد تبدت هذه الظاهرة اول الامر في نتاج بعض الادباء، ثم مالبث آخرون أن أخذوا – كما هي العادة – يقلدونهم، وينسجون على منوالهم دون تدبر ومن غير مبرر معقول لهذا الضياع في متاهات الرمز واللامعقول.

يكتب أحدهم قصة، ويطلع علينا آخر بقصيدة، وثالث بمسرحية، فتنبري عشرات الاقلام الى التحليل والتفسير، بل الى الترجمة من العربية الى العربية .. لكي يتسنى للجمهور المسكين فهمها، فيريقون من الحبر أرطالا، ويسودون من الورق أطنانا، وليتهم – في نهاية المطاف – يفلحون، وينقلون الينا بحق ماهدف اليه الكاتب، وانما يصبح الموضوع بعد كل هذا الجهد اكثر غموضا واشد التباسا .

ولا يدري أحد لماذا كل هذا العناء .. لماذا لا يقول لنا الكاتب ما يريد قوله بكلمات واضحة محددة، فيريح ويستريح، ويعفي غيره من عناء البحث عن مضامين كلماته ما دام « المترجمون » سوف يختلفون كل هذا الاختلاف حتى في المضمون الواحد . وربما ذهب كل منهم فيما استخلص من آرائه مذهبا يباين ما ذهب اليه غيره، مع أن النص – بطبيعة الحال – لا يحتمل الا معنى واحدا كان في ذهن كاتبه حين وضعه على الورق . فمن أين جاءت تلك العشرات من المعاني التي خرجوها من بين سطوره، والتي لم تخطر لصاحبه – اغلب الظن – على بال .

ان الذي يتصدى للكتابة هو احد اثنين : فإما أن يكون قادرا على التعبير عن فكرته ببساطة ووضوح، وهو في هذه الحالة ملزم بالكتابة بذلك الاسلوب الواضح المفهوم، واما انه غير قادر على ذلك فيعمد من ثم الى الدوران حول المعنى الذي يريد، فلا نستطيع أن نفهمه الا بجهد جهيد، وفي هذه الحالة يكون من حقنا عليه ان يعفينا من مهمة اشراكنا معه في جهد لا طائل تحته، لاننا لسنا ملزمين بأن نعاونه على استخراج أفكاره من رأسه، وهو غير جدير اذن بالتصدي للكتابة اذا لم يكن قادرا على الافصاح عن تلك الافكار ..

ولنضع القضية في شكل سؤال :

ما الذي يريده أي كاتب حين يكتب ؟

والجواب ببساطة :

انه يريد ان ينقل الينا أفكاره .

اذن ، وما دام الامر كذلك ، فلماذا لا يتحدث الينا بكلام تتمكن من فهمه في يسر ، فيتحقق الغرض المنشود ، ويتم التجاوب بيننا وبينه . ان مقياس النجاح ـ في الغالب الاعم ـ يتجلى في قدرة الكاتب على نقل أفكاره الى القراء بسهولة وفي وضوح ، فما الداعي اذن ، الى التعقيد اذا امكن تجنبه ؟

نحن لا ننكر أنه من الضروري أن نحمل القارىء على التفكير ليستخلص المعنى بنفسه احيانا ، كيلا يعتاد عقله الخمول ، ولكن هذا شيء ، والتعجيز شيء آخر . ان حث العقل على العمل بغية تنميته وتوسيع أفقه ، شيء يختلف تماما عن اغراقه في متاهات لا أول لها ولا آخر من الرموز والطلاسم .

لماذا نرمز للجنس ـ مثلا ـ بالوردة ، كما في مسرحية الدكتور رشاد رشدي « رحلة خارج السور » في الوقت الذي نستطيع ان نستعمل تعبيرا آخر اكثر وضوحا . قد يفهم بعض الناس أن الوردة ترمز الى الجنس ، ولكن لا جدال في أن الغالبية العظمى بين القراء لن تفطن الى هذا المعنى وراء هذا الرمز .

لم لا نسمي الاشياء بمسمياتها ، خاصة في هذا العصر الذي لا يسمح باضاعة الوقت في حل الطلاسم والالغاز ، عصر الانطلاق بين كواكب السماء لا البحث عن المضامين وحلول الرموز تحت الارض السابعة .

والرمزية مذهب معروف في الادب ، ولكن ليس كل كاتب يمكن ان يكون رمزيا ، وليس من الضروري ان يكون كذلك ، فاذا استطاع توفيق الحكيم ان يكتب لنا مسرحية « يا طالع الشجرة » على طريقة الرمز واللامعقول ، فليس هذا اننا جميعا ينبغي أن نقف في « طابور » طويل ، وبالدور ، لنكتب بنفس الطريقة ، لسبب بسيط هو اننا لسنا كلنا توفيق الحكيم ، ولا يضيرنا ـ في الوقت نفسه ـ الا نكونه ، وان لمن الخير لأي كاتب ان تكون له شخصيته المستقلة المتميزة ، فذلك اكرم الف مرة من أن يجنح الى التقليد الاعمى ، فالتقليد حتى في أحسن حالاته ليس الا صورة مشوهة ، أو نسخة غير واضحة عن الاصل .

لكأني بكتابنا حين يكتبون ، يتوخون الظهور ، والتظاهر بالعلم والمعرفة والاطلاع اكثر مما يهدفون الى النهوض بمجتمعهم عن طريق اسهامهم بأدب خلاق مثمر . لكأنهم يريدون ان يدللوا دائما على أنهم محيطون بكل شيء ، وانهم يضربون بسهم وافر في كل ميدان لا تخفى عليهم خافية في الشرق أو الغرب ، في الارض أو السماء ، وليست هذه ـ لعمري ـ من صفات البشر انما هي صفات إله .

والرمزية اخيرا ـ وكما أراها ـ مذهب لا يصلح لهذا العصر ، وسينطوي قريبا وباسرع مما تتصور ، ذلك ان روح هذا العصر في سرعته ومنهجيته العلمية لا يمكن ان تحتملها ، أو هي ـ على الاقل ـ لا تصلح لنا نحن الذين نريد ان نختصر مسافة الزمن الفاصلة بيننا وبين ركب الحضارة المنطلق بسرعة رهيبة نحو آفاق جديدة .

يوسف جاد الحق

# ربيعُ العينين

شعر : فريد انطونيوس

أهرق الحسن بين جفنيك خمراً
وكسا الخدَّ حمرة فتورَّد
وتهاوى مدلَّهاً فوق ثغرٍ
كلما افتر حسنه يتجدَّد
لست أدري أمقلتاكِ ربيع
دائم الخصب أم هما من زبرجد
ينعم الكون بالربيع زماناً
وربيع العينين كالحب سرمد
فاتركي العين تسكب السحر صرفاً
ودعي الثغر يستطيب افتراره
فحرام أن تحجبي السحر عنا
وحرام أن تلبسي النظّارة

• • •

وهمى الحسن مثقلاً بطيوبٍ
ضمّخ الشعرَ عطرُها فتجعَّد
دغدغ النهد فاكتوى بسعيرٍ
وتلظّى الاغراء فيه وعربد
تنضح الشهوة الدفينة منه
فهو في الصدر جمرة تتوقد

ما لأهدابك الجميلة أسرى
تتلوى خلف الزجاج الأسود
فاتركي العين تطلق الهدب سهماً
ودعي اللحظ يستفك إساره
فحرام أن تحجبي السحر عنا
وحرام أن تلبسي النظارة
لا تضني ما أوجد الحسن ربي
في ابتسام العينين إلا ليعبد
وأنا شاعر أقدس حباً
منه أحيا وفيه أشقى وأسعد
أترك القلب يكتوي بلظاه
خاشع الطرف ضارعاً أتعبد
اعشق الخضرة البهيجة في العينين
والنهد ثائراً يتوعد
فدعيني أعب من عينك النور
ومن ثغرك الشهي احمراره
فحرام أن تحجبي السحر عنا
وحرام أن تلبسي النظارة

شعر : فريد انطونيوس

# دع لقاءنا للاقدار

كانت الساعة الواحدة الا ربعا ، الزيارة تبدأ في الواحدة ، وتستمر حتى الثانية ، اعتاد دائما أن يكون على باب المستشفى في الواحدة تماما لا يتأخر دقيقة عن ذلك .

وقف أمام المرآة يعقد رباط عنقه ، كان أنيقـا في هذه المرة على غير العادة ، لم يعتد أن يتأنق مطلقا منذ زواجه فلم يكن يجد ضرورة لذلك ، على سجيته وفي اهماله المعتاد لمظهره كان يمضي اليها ، يدخل عليها في غرفتها بالمستشفى فلا يزيد على أن يلقي عليهـا نظرة فاحصة كأنه يود بها أن يستشف كل تغيير طرأ عليها ، ويتقدم من سريرها في بطيء وفي تراخ ، يمد يدا باردة لمصافحتها ، ويسأل بلهجته الفاترة : كيف حـالك ؟ ولا تزيد هي أيضا في كل مرة على أن تستوي في سريرها فور أن تلمحه قادما ، وتتلقى يده الباردة بين يديهـا وترد على سؤاله : الحمـد لله أحس انني فـي أحسن حالة ..

ويجلس على الكرسي الى جانب سريرها صامتا ، ويجول بنظراته بين المرضى والزوار ، محاولا في خلال هذه الدقائق أن يتذكر كل أحداث يومه ، ويراجعهـا وبدقق فيهـا ، كأن حضوره اليهـا ليس الا للتفكير والاستغراق في التأمل .. ثم يعود بنظراته الى وجهها الاصفر الذاوي ، ويلقي عليها بعد أن يتأملها لحظـة سؤالا آخر : هل فحصك الطبيب ؟ وترد عليه بعد أن تكون هي الاخرى غارقة في التفكير : اجل ..

ويلقي سؤالا ثالثـا : وماذا قـال لك ؟ « وترد بلهجتها الفاترة وعيناها بعيدتان عنه : يخيل الي أنـه يائس من حالتي » ويصمت هو ، وتسكت هي ، ويظلان صامتين ، يقشر لها موزة ، أو برتقالة مما يكون عادة قد أحضره لها في طريقه ، ويقدمها لها ، فتتناولها منه في هدوء وتلقي بها في جوفها ، يقشر لها ثانية وثالثة حتى تقول له أخيرا : كفى .. متشكرة ..

فكيف ، وينظر الى ساعتـه ، وبعد قليـل ينتهي الوقت ، فيهب عن الكرسي ويمد لها ثانية تلك اليـد الباردة مودعا ، ويأتيها صوته في هذه المرة حارا أكثر منه وقت دخوله : أستودعك الله .. أتمنى لك الشفاء .. معا كل هذه المدة الطويلة رغم أنه ليس هنالك بينهما أي اتصال روحي أو جسدي ، وليس بينهما عاطفـة مشتـركة ، وليس لهما ولد يخشيان على سعـادته أن يهدمها الفراق . ثمة شيء غامض كان يتساءل عنه بينـه وبين ذاته ويحاول أن يكتشفه الا أنه لا يفلح ، ويجد نفسه يدور في حياته وسط دوامة فارغة دون أن يحاول أن يتساءل ؟ : هل هو راض عن حياته هذه أم لا ؟ ..

كان يروح ويجيء الى منزله في اهمـال وفي غير مبالاة ، مظهره دائما مهمل أمام الناس ، ذقنه طويلة وشارباه تركهما ينبتان بدون تنسيق حتى بدا أكبر من سنه بعشر سنوات .

وكانت هي الاخرى مثله لا تعنى بمظهرهـا ولا بأناقتها . ثيابها مهملة ، وشعرها مشعث ، وعـلى وجهها

ذلك الحزن الخفي وهي دائما مريضة تأبى العلة أن تفارق جسدها لحظة ، وتنتابها نوبات تترنح تحتها في اعياء شديد حتى ليخيل اليه أنها لن تعيش لحظة بعد ذلك ...

وكثيرا ما سمع من أفواه الاطباء : ان في أعماقها مأساة تأبى ان تكشف عنها لاي انسان ، ولا أعتقد أنها ستعمر طويلا » ويتلقى الكلمات في اهمال ، وقد يشعر أحيانا بالرثاء ..

تنبه فجأة على صوت المسؤول يعلن انتهاء الزيارة، فنهض واقفا ، ومد نحوها يده ، فقالت له وهي تأخذ يده بين يديها : سأخرج في الغد . ج . هكذا قال الطبيب « وتلقى الخبر كالعادة في اهمال وهز رأسه قائلا : حسنا .. في أي ساعة ؟ أجابت : في العاشرة والنصف صباحا ..

ثم ترك الغرفة وراح يهبط درجات السلم وهو يحس كأنه انتقل من سجن الى سجن، وفي نهاية السلم التقى بها ، انتهت هي الاخرى من زيارة زوجها ، اقترب منها وقد عادت الى شفتيه تلك البسمة المشرقة، وسألها وهو يمشي الى جانبها : كيف حال زوجك ؟ « قالت وهي تهز رأسها : سيخرج بعد غد ..

ولم يقل شيئا ، أحس كأن يدا تقبض على قلبه، سيخرج زوجها بعد غد وستعود الى حياتها معه . حياة فارغة ليس فيها معنى وليس لها رونق ، انها مثله « تلقفت يده بين يديها ، وضغطتها قليلا ، وقبل أن ترد على سؤاله كانت عيناها تتأملان مظهره ، انه أنيق على غير العادة ، ابتسمت .. ان زوجها جميل ، ولم تحاول أن تتساءل عن سر أناقته فقد اعتادت دائما في كل حياتها معه أن لا تتدخل في شؤونه الخاصة ، ولما لم ترد على سؤاله عاد يقول : كيف حالك اليوم ؟ » وللمرة الثانية تأملته وتأكدت انه أنيق وجميل رغم علامات الزمن التي بدأت تخطو نحو قسمات وجهه ، ومدت يدها فتناولت منه الفواكه وهي تقول : الحمد لله .. أخبرني الطبيب اليوم أن حالتي قد تحسنت جدا « شعر باضطراب لا يدري كنهه ، وظل صامتا لايتكلم بشيء ، كان ينظر الى ساعته بين فينة واخرى ، ثم يقلب نظراته في المكان ويعود بها فوق جسد زوجته الناحل ووجهها الاصفر الذابل كأنه ورقة من أوراق الخريف ..

لقد تزوجها منذ عشر سنوات ، لم يكن زواجهما عن حب ، ولكن ثمة شيئا ولعله القدر والقسمة دفعاها الى دنياه ودفعاه الى دنياها ، فتزوجا ، لم يكن تعسا في حياته معها فقد كانت طيعة ، صامتة ، دائما صامتة ، وعلى وجهها حزن خفي كأن مأساة رهيبة ألمت بحياتها، ولم يستطع — رغم ما حاول — أن يعرف شيئا عن سر صمتها وحزنها الخفي هذا ، وكان يجد كل شيء من حاجاته معدا ، غرفته الخاصة نظيفة جدا ومرتبة . البيت منسق أنيق . كل شيء فيه هادىء صامت يوفر له جوا من الراحة والسكون .

كان يعرف أنها لم تكن تحبه ، ولكنها أيضا لم تكن تكرهه ، ليس بينهما اتصال روحي أو جسدي مشترك ، فكثيرا ، كثيرا جدا مابات كل منهما في غرفته الخاصة ، كأنهما ليسا بزوجين وكأن مابينهما بعيد كل البعد عما يكون بين الزوج وزوجته . ولعلها لم تكن تعيسة في حياتها معه ، فقد كان يوفر لها كل حاجياتها، ويحاول كل ما وسعه أن يزيل عن وجهها ذلك الحزن

الخفي ، الا أنه كان يصطدم دائما برغبتها في الوحدة والخلود الى نفسها .. وكانت عاقرا ، لم تنجب له ما يسعد أيامه وأيامها ، ويدخل البهجة والحركة الى هذا البيت الصامت الساكن الذي يبدو وكأنه قبر مهجور . ولم يستطع كلاهما أن يدرك كيف ارتبطت حياتهما يخرج ، ليعود اليها في الزيارة الثانية ..

انتهى من ارتداء ملابسه ، القى على الساعة نظرة أخرى ، الواحدة الا خمس دقائق ، سيتأخر في هذه المرة — لاول مرة — خمس دقائق عليها ، وعاد الى المرآة فوقف أمامها ، كان أنيقا ، وابتسم ابتسامة عريضة ، لاول مرة يبتسم مثل هذه الابتسامة منذ دخولها الى المستشفى حتى الآن ، وأحس أنه جميل ، لا تزال فيه جاذبية رغم هذه الغضون القليلة التي بدأت تزحف نحو وجهه وتحتل منه مكانا بارزا ..

خرج من البيت ، سار خطوات قليلة ، ثم ألقى بنفسه في سيارة صغيرة واعطى السائق اسم المستشفى، نزل من السيارة بعد قليل ، واشترى لها في طريقه بعض الفواكه ثم راح يصعد درجات السلم الى غرفتها مسرعا .. وفي منتصف السلم (التقى بها ، كانت مثله صاعدة لزيارة زوجها ، وكانت مثله أيضا أنيقة ، لاول مرة يراها تتأنق ، أدار نحوها وجهه وقد زينت ثغره ابتسامة عريضة ، أجابته بابتسامة مقابلة وفي يدها كيس من الورق فيه بعض الفواكه لزوجها ، اقترب منها ، واتسعت ابتسامته فوق شفتيه وهو يحييها : مرحبا .. كيف حالك ؟

أدارت وجهها الرائق ، ولمح ابتسامتها تعرض فوق شفتيها وهي تقول : الحمد لله .. كيف حال زوجتك ؟

قال وهو ينقل كيس الفواكه من يد الى يد : لا ادري .. يخيل الي أن حالتها ستتحسن .. وأنت كيف حالة زوجك ؟ — لعله يكون قد تحسن ..

وكانا قد وصلا الى نهاية السلم ، وقبل أن يفترقا ليدخل كل منهما الى غرفة مريضه قال لها وهو ينظر في عينيها الخضراوين : سأنتظرك على الباب .. «وصمت قليلا ، كأنما لم تعجبه الكلمات واردف بعد قليل متابعا: كي أطمئن على صحة زوجك .. وتطمئني على صحة زوجتي ..

واستوت زوجته في سريرها فور أن لمحته قادما نحوها ، ورسمت على شفتيها الذابلتين بسمة باهتة ، تقدم نحوها في بروده المعتاد وقد غامت عن ثغره تلك البسمة العريضة التي كانت فوقه منذ لحظات ، مد لها يدا باردة وألقى سؤاله المعتاد : كيف حالك ؟ لا تدري كيف ارتبطت حياتها بحياة زوجها ، وجدت نفسها فجأة وهي لما تزل في السادسة عشرة من عمرها زوجة له ، هكذا بلا سابق اتفاق .. وبلا رابط أو اتصال .. ، كل ظروف حياتها مشابهة لحياته تماما ، ليس بينها وبين زوجها اتصال ، لكل منهما غرفة خاصة ودنيا خاصة ، وفي أعماق زوجها حزن خفي ، وأسى تنضح به قسمات وجهه ، وهو مريض دائما لا يعرف الصحة الا نادرا كأن بينه وبينها عداء قديما .. كان يلتقي بها كلما حضر لزيارة زوجته ، أحس نحوها بجاذب قوي ، جرفه اليها شعور مبهم ، فحادثها ، وردت عليه أخبرها بقصته وأخبرته بقصتها ، تألم لها وتألمت له ، أحس أن بوده لو تكون له هذه المرأة ، وجد نفسه يفكر تفكيرا غريبا: لو توفي زوجها وتوفيت

زوجته •• لتزوجا •• » تملكه هذا الشعور ، عاش فيه أياما وليالي ، ووجد نفسه يعنى بمظهره ، لـم تعد ذقنه طويلة، وثيابه مهلهلة، وشاربه نابتين بلا تنسيق•• تطور كل شيء كأنه انتقل الى دنيا أخرى ، وعاشت هذه المرأة في أفكاره ، وملكت عليه لياليـه ، حتى أصبح يفكر بها في كل دقيقة من أوقاته ••

كانا قد وصلا الى الباب الخارجي للمستشفى ، لم يتكلما شيئا في خلال المسافة التي ساراها معا ، كان كل منهما غارقا في الصمت • له أفكاره الخاصة •• وخياله •• وعالمه ••

مدت له يدها وقد أصبحا على الباب قائلـــة : أستودعك الله ••

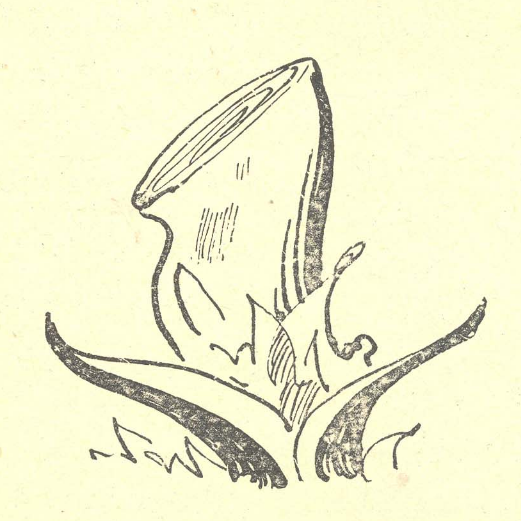
وأمسك يدها ، شدها في قوة بين أصابعه كأنـه يأبى أن تفارقه ، وسألها ؟ ألا نلتقي ؟ ••

وهزت رأسها وعلى شفتيها بسمة باهتة ، وأجابت: لا أعتقد أنه يليق ••

لم يستطع أن يقول شيئا فقد أحس كأن شيئـا يغلق فمه ، وكانت يدها قد انسحبت من يده في رفق ؛ وصافح سمعه صوتها الناعم : وهي تقول مبتعدة : دع لقاءنا للاقدار •• فلعها تجمعنا ••

قالت ذلك ، ومضت مسرعة ، ظلت نظراته تتابعه حتى اختفت عن ناظريه في زحمـة الشارع ، فاستدار عائدا ، وقد زالت عن شفتيه البسمة ، وتراخت يداه الى جانبه في اهمال ، ومضى مسرعا وفي أعماقه صورة لامرأة لم يكتمل رسمها ••

بقلم : وليد قصاب



# معي .. في المكتبة .!

اليوم يتغير رقم سنواتي وسنوات العالم أجمع ، ماذا يعني هذا ... أي معنى يضم بين حناياه ، أي غد باسم نأمل ، أي حرمان مرير نودع ..

عام جديد . ورقم جديد ، وسنة جاءت بعد سنين وتدور الايام وتتكدس الهدايا لأجد أجمل هدية تلقيتها بحياتي .. كلمة حانية علقت باذني ونفذت الى قلبي ( اهديك محبتي ) .

عام جديد .. أي كتاب سأقرأ ويقرأ العالم معي.. أي ضوء يعانقني الليالي الطوال .. أي حب يغمرني ويغمر موطني معي .. أي حرف دافىء أمنحه غيري وأعانق واياه المسرة ، نلملم النجوم ونلثم زرقة السماء، توشوشنا السوسنة الصغيرة ، ويسايرنا ضوء شرفة منسية . تحمينا غيمة ويضيعنا الضباب ..

أحلى هدية لم تتلقاها بعد ، وأفضل كتاب لم نقرأه، وأجمل بلد لم نرحل اليه ، وأتمنى لمن لم نسمعه وأعذب كلمة لم نكتبها .

فاليك يا قارئي الصديق هديتي الصغيرة فهي كل ما أملك .. اليك حرفي، وأمنيتي أن تقبله..ويكفيني أن تمضي معي فترة قصيرة ، ان ترتاح الى كلمتي المرمية على الورقة ، الى حرفي المغمغم الذي لولاك لما وجد .

فأنت ياصديقي وقارىء حرفي .. أنت من أحب.. تهمني سعادتك وأتمنى لو تتحول هذه الاحرف الصغيرة الى بسمة ترصع بها ثغرك ، ولحن ينتشي به قلبك ، وسعادة تغمر ايامك .. وأرجو لك من قلبي الذي يحبك وحرفي الذي يقبل نظراتك .. سنة هادئة ، وصحبة حلوة ، واياما حانية ، وعملا منتجا ، وأمنية محققة أو سعادة ترتاح بين يديك وحبا يطمئن واياك..

**كيف يكون الانسان ظريفاً :**

لا أدري كيف أخط الاحرف ، فالضجيج يملأ المكان حولي ، والنور باهت ، والبرد يحضن حتى الجماد ، وينفذ الى أعماقه ، والقلم غاضب ثائر . والورقة ترغب عن الامتلاء . وهمسة حلوة تطوف بدلال ... وعصفور صغير يغرد بعذوبة.. وكتاب الظرفاء لصلاح الدين المنجد يرنو الي بحنان .. كانت نزهة رائعة، وصحبتي للظرفاء ودخولي عالمهم السحري المليء بالانس والظرف والمجون والغد .. وتمنيت لو عرف كل انسان في بلدتي الحبيبة رحلتي تلك ..

يحدثنا الكتاب بنعومة ولطف عن اصول اللياقة الاجتماعية والادبية والفنية .. وما أحوجنا الى هذه الاحاديث والقواعد ..

كيف يجب أن يتحدث الانسان ويستمع ، كيف كيف يتزين أو يتعطر ، ويأكل ، ويستقبل الضيوف ويعامل الاصدقاء والأحبة .. أي كيف يكون انسانها لبقا ظريفا ( جنتلمان ) .. اننا نستجدي معرفتنا بهذه الامور من الغرباء ونزهو ان أحسنا محاكاتهم .

لم يخطر لك يا قارئي الصديق ان تجد كل هذه الاصول عند القدامى وانها مدرسة قائمة بذاتها وتزهو على جميع المدارس ، مدرسة الطالب فيها نظيف لطيف مطيع جميل صادق رائحته عطرة ، وكلمته دافئة ،

وعواطفه مشبوبة وبوجه مهذب ، وطعامه منمق .

تعال لنرى كيف يكون الانسان ظريفا .. وأظنك ستحب وتعجب معي باولئك الظرفاء وعاداتهم وطبائعهم وتتمنى مثلي لو تطير عبر الزمان اليهم وتشركهم حياتهم وظرفهم .

الظرفاء :

اناس أطلقوا لانفسهم في اللهو العنان وجروا وراء اللذات والحسرات وهاموا بالجمال والنعيمات . لايقيدهم قيد موروث ، ولا يأسرهم عرف معروف ولا يحول حائل بينهم وبين ما يشتهون ، فاقترن الظرف بادىء بدء بالزندقة ، وسواء أكانت زندقة المتزندقين حقا أم افتراء ، فقد لمس أهل بغداد فيهم رقة ولطفا ، ورأوا حرية في العواطف والافكار ، وصراحة في اظهارها والجهر بها :

لست بزندق ولكنما
أردت أن توسم بالظرف

ومن الواضح ان الظرف زاد ونما وصار نتيجة اسباب شتى من الحضارة والثقافة والجنس معا ، ولا ننكر بعد هذا تأثير المرأة في تلطيف العيش واختراع ضروب اللهو والوان اللذات ، فسعى نحوها الرجال ، فتذوقوا ورقوا ، وسعت القيان الى اولئك الرجال فبرقن انفسهن وتزين ، وجهدن في ارضائهم وانحوائهم فكان من نتائج هذا السعي المتبادل التظرف والتزين والارضاء ...

ولعلك تسأل بعد . عن الظرف والظريف ، وتود ان تعلم كيف يصبح الرجل ظريفا .. يقول الوشاء .. لا يكون الظريف ظريفا حتى تجتمع فيه اربع خصال . الفصاحة ، والبلاغة ، والعفة والنزاهة ، وقد ذكروا ان الظريف هو من كان الى ذلك حسن الوجه ، رضي الهيئة ، متأدبا قد اخذ من العلوم فصار وعاءها ، رقيق الطبع ، صادق اللهجة كاتما للسر ..

وعصبة الظرفاء لها غامر سبيكولوجية خاصة ميزتها عن غيرها ، كرهافة في العواطف واضطرام في الاهواء ، ولكافة في الشمائل وتتبع الجمال واحتفال بالحب والهوى ، وهيمان في اثر اللذاذات والمجون ، وقد خصت المعاجم الظرف بالفتيان والفتيات .

ملابس الظرفاء :

ولنرى الآن كيف كان يلبس الظرفاء :

يقول الوشاء « وأحسن الزي عندهم ما تشاكل وانطبق وتقارب واتفق » وفي هذا ذوق وبراعة وفيه تمدن وحضارة ، بل فيه قانون الملابس والازياء الذي يتبعه مترفو باريس في هذا العصر ، ساقت المدينة ظرافنا اليه ، قبل مئات عشر من السنين .

طيبهم وموائدهم :

كانوا يتعطرن بالمسك المقشر المذوب بماء الورد ... و لايستعملون من الطيب ما كانت رائحته شديدة السطوع ...

وكان ظرافنا يصغرون اللقم ، لا يملؤون بها افواههم ، ولا يرسمون بها شفاههم ، وكانوا عن الشره والنهم ولا يعجلون في مضغهم ولا يأكلون بجانبي أشداقهم .

وكانوا يتبعون نظاف الاطباق ، كل لون من طعام في صفحة خاصة ، يرفع طبق فيه ضرب من الطعام ويؤتى بطبق آخر فيه لون آخر ، وربما جعلوا لكل طعام ملعقة خاصة . وكانوا يتخذون ملاعقهم من الفضة والذهب في حين ظل ملوك فرانسا واشرافها يأكلون باصابعهم حتى القرن الثالث عشر وقد يختص كل واحد بسكين يقطع بها ما يحتاج من الفاكهة واللحوم ، وكانوا يتجنبون أكل القديد وحسو المرق والاقتراب مما خبث رائحته وظهر نتنه .

(١) كتاب الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس ، تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد .

مجالس شرابهم :

فاذا جلسوا للشراب تطيبوا بالمسك والعنبر والغالية ثم يسجرون المجلس بالند فيفاح ارجه ، وعندئذ يركع الابريق للكؤوس ... ويشربون على الزهر والجمال، وينشدون الشعر الغنائي الساحر ويتنقلون بمملوح البندق ومقشر الفستق ( ولعمري يتمنى الانسان هذه المجالس ولا يجد افضل منها ) .

الحب واللذة :

وقد اقبل الظراف على العشق ... فقدوجدوا في الحب ما تصفو به الطباع وترق العواطف ، فهو خلق كريم ، واكرم بما يهذب النفس ويحيي القلب ، ويفتق الذهن ويشجع الجنان ويطلق اللسان ..

وقل أن تجد ظريفا لم يؤثر عنه عشق أو هـوى .

أما الظريفات فقد ألقين بأنفسهن على الحب وسعين في البحث عن الحبيب سعيا فعشقن وعُشقن فعشقت فضل الشاعرة سعيد بن عمير وأحبت عريب فتنة العصر محمد بن حامد، وأبا عيسى بن الرشيد، وكاتم بن عدي .

والظريف العاشق لا يحب الحبيب وحده ، بل يحب كل من يود الحبيب .

اني لأهـوى جـوهرا
ويحـب قلبـي قلبهـا
وأحـب مـن حبي لهـا
مـن ودّهـا وأحبها
وأحـب جـارية لهـا
تخفـي وتكتـم ذنبهـا
وأحـب جيرانـا لـهـا
وابـن الخبيثـة ربهـا

وظرافنا لا يخجلون من التحدث عن حبهم ومغامراتهم ، على أن هذا الحب الذي تبعه الظراف كان لا يدعو في أكثر الاحيان الى ريبة ، لان العفة من شروط الظرف ..

ولكن اناسا ، منهم ظرفاء الكوفة ، استهوتهم اللذة الجنسية وتهافتوا عليها تهافتا عجيبا ، ولقد سمر الحب ابن المعتز ،

وما العيـش الا لمستهتـر
تظـل عـواذله في شغب

وقال مسلم :

لم أصح مـن لذة كلا ولا طرب
وكيف يصحو قرين اللهو واللعب
نفسي تنازعنـي اللـذات دائبـة
وانمـا اللهـو واللذات من أربي

**آدابهم الاجتماعية :**

وقد كان لظرافنا آداب اجتماعية تشف عن تهذيب وتومىء الى كمال اجتماعي عظيم . كانوا لايزورون أحدا قبل اعلامه ، شأن الغربيين اليوم ، وكانوا لا يداخلون أحدا في حديثه ، ولا يتطلعون على قارىء في كتابه ، ولا يتكلمون فيما حجب عنهم ولا يقطعون على متكلم كلامه . ولا يستمعـون اذا أسر الى سره وكانوا أمراء مجالسهم أينما وجدوا لظرفتهم ولطفهم، وكانوا أذكياء لايجلسون في مجلس ينقلون عنـه ولا يتصدرون في مكان بحيث يقامون منه ، وهم يتجشأون ولا يتمطون ، ولا يشبكون أصابعهم ، أو يمدون أرجلهم ، أو يحكون أجسادهم ، أو يمسون أنافهم ، فاذا تكلم واحدهم فبتؤدة وهدوء وبايجاز وبيان ، لا يعلون صوت ولا يرشش له بصاق .

وكان من أخلاقهم قلة الرغبة في الجفاء ، يبشرون بمن لقوا ، ويتفقدون من فقدوا ، ويعينون بأموالهم الاخوان ويرحبون بالضيفان ، ويصفحون عن المسيء ويبجلون الكبير ولا ينسون الترحيب بالصغير .

ذلك طرف من آدابهم ، فيه من آداب الاسلام وآداب الحضارة ، فأين ( ياقارئي ) بآداب اللياقة في الغرب ترى ما كان عليه ظرافنا من نبل وكمال وتهذيب.

**سيرة المتظرفات :**

ملابسهن مما ندر وفخر وغلا ثمنه وحسن حوكه ، وكثيرا ما كن يعمدن الى زركشة الملابس وقد وجدن في أشعار الغزل مادة زينة وتزيق .

فقد ابتدعت عليه بنت المهدي العصائب ، فقد كان في جبينها فضل سعة شج به ، فأرادت أن تخفيه فاتخذت العصائب .

وهذه حسناء رآها ابو مشاء وفي وسطها زنار زركشته .

زنارها في خصرها يطرب
ريحها من طيبها أطيب
ووجهها أحسن من حليها
ولونها من لونها أعجب

وكن يعنين بشعورهن ويبذلن جهدهن في التصفيف والتسريح ، وكن يحتفلن بالازهار ، فكن يتزين بها ويجعلها رسول غرامه ، فالبنفسج دليل الحب مثلا ..

أهدت اليه بنفسجا يسليه
تنبيه أن بنفسها تفديه
فارتاح بعد صبابة وكآبة
ورجا بحسن الظن أن تدنيه

والكتاب يستمر بوصف أخلاق الظرفاء وحياتهم ولياقتهم وصفا شيقا .

نظرت حولي وتنهدت ... أين نحن من هذا كله ... نأت بنا الدروب وبعدت المسافات وأصبحنا نستجدي بضع قواعد دخيلة على حياتنا ونعتز بها وظرافنا كانوا يتحلون بأفضل ما وصلت اليه الحياة الاجتماعية من رقي وتهذيب .

**مكابرة :**

غرفتي المنسية من الدفء والحنان ، غرفتي المغمورة بالصمت والظلام ..

غرفتي .. أوراق مرمية ، وألحان مسترخية ، ووردة ذابلة ، وسرير يئن ، وشباك محطم الزجاج ، وباب تعب وثوب مهمل ، وعطر مسفوح على الوسادة والغطاء..

من غرفتي هذه ومن صمتي والصمت والنسيان والاهمال .. تهادى همس دافىء دافىء ..

تلفت بكسل ، من تراه يهمس لي بعمق الليل ، من عرف مخبأي وتخطى كآبتي ، وبخطى مخمورة انزلقت الى السرير الموحش ، فانساب اللحن الهامس الى قلبي، وامتلأبه مضجعي، وغمرني بنعومة ودلال.. تمنيت لو أحتويه ، لو أتبين صاحبه ، ولم أتحرك خشية ضياعه وهربه .. وتكتلت حياتي بأذني.. وتعالى الهمس وتعالى عاتبا بنعومة ، صاخبا بحنان ... وأطلت القامة الفارعة من وراء حجب الصمت والظلام، وشعت النظرة المضطرمة في العينين المتوهجتين واستراح الحرف في الثغر المتسائل يتمتم ..

أنسيت من أمضيت معه ليالي وليالي ؟؟
أنسيت من عانقته وسادتك أشهرا وأشهرا ؟.
أنسيت من خبأت انفاحه بأذن من تحبين مرة ومرات ؟..

أنسيت من لجأت اليه باكية نشوى ، فأخذك برفق ولملم دموعك وساير جموحك .. وعاش لك ولك وحدك .. لك ولم يتركك ؟..

أبعد كل هذه الصحبة ، يغريك الزائر الجديد وينتزعك مني ، فتهربين اليه وتخضعين لسلطانه ..
أنت واهمة ، ليست حبيبتي بأحلى من سمرائي..

قالت لي السمراء يوما أجمل كلماتها فصغتها ألحانا ، وأبدعتها ألوانا ، ووشيتها .

فانتفضت مذعورة وأسرعت الى مكتبتي وحضنت الديوان الاخضر الانيق وألصقته بقلبي الخافق وشددت عليه جوانحي المعربدة ولثمته بخشوع وتمتمت : أنت ديواني الحبيب ورفيق طفولتي وصباي وأنيس وحدتي وأيامي ..

وشردت مع حبيبة حلوة ترتل بين يدي عابدها ..

تُراني أحبك ؟ لا أعلم
سؤال" يحيط به المُبهم
وان كان حبي افتراضاً .. لماذا ؟
اذا لُمت طاش برأسي الدم
وحار الجواب بحنجرتي
وجف النداء .. ومات الفم
وخرّ" وراء ردائك قلبي
ليلثم منك الذي يلثم
تراني أحبك ؟ لا لا محال"
أنا لا أحب ولا أغرم

☆ ☆ ☆

وفي الليل ، تبكي الوسادة تحتي
وتطفو على مضجعي الأنجم
وأسأل قلبي ، أتعرفها ؟
فيضحك مني ولا أفهم
تراني أحبك ؟ لا . لا . محال"
أنا لا أحب ولا أغرم

☆ ☆ ☆

وان كنت لست أحب تراه
لمن كل هذا الذي أنظم
وتلك القصائد أشدو بها
أما خلفها امرأة تلهمُ ؟..
تراني أحبك ؟ لا . لا . محال"
أنا لا أحب ولا أغرمُ

☆ ☆ ☆

الى أن يضيق فؤادي بسري
ألح ، وأرجو ، وأستفهمُ
فيهمس لي : أنت تعيدها
لماذا تكابر .. أو تكتمُ

**زهرة العمر :**

جاءني نبيلي الحبيب منسائلا بطفولة حلوة ...
أتحبين توفيق الحكيم ؟

ـ أنا ؟.. أحبه كثيرا ، وقرأت كل ما أنتجه .

ـ لا انك لا تحبينه ! ولا يعجبك .

ـ ما هذا يا نبيل .. ألا ترى اني لم أجلد من الأدب الحديث غير كتبه ..

ـ انك لا تحبينه ...

ـ من أين عرفت هذا! ؟.. وكيف ؟..

ـ تحبيه ! ولم تذكري كلمة عنه بأجمل ما قرأت.. ألا يستحق منك وقفة .. سأكبر يوما وأكتب عنه ، وأكتب له بعض الرسائل .. وسأكتب مثل كتبه .. وأشكوك اليه ..

ثم تركني غارقة في ذنبي وذهب الى صحبه وأوراقه، فوجدتني أمام المكتبة وكتب الحكيم عاتبة ، متكتلة على نفسها ، لا تريد رؤيتي وتمنعني من الدنو منها..

وقفت فترة استرحمها أرجوها ، أن تصفح عني عبثا فأرخيت أجفاني وشردت عبر الزمان يوم كنت كاتبة واشتريت كتاب « تحت شمس الفكر » بخمس ليرات هي ثمن كتاب الجغرافية وبقيت بلا دراسة جغرافيا طوال العام ، وبقي الكتاب مطمئنا الى بحضن وسادتي أعود اليه كل ليلة ، ورفعت نظراتي المجهدة الى المكتبة فألفيت كتاب تحت شمس الفكر هو هو بغلافه الاخضر وحجمه المتوسط ولكنه لم يعد حبيس وسادتي ، انما يعيش علنا ومع صحبه واخوته .

فتناولته بحنان وحذر ، هاهي كلماتي تملأ جوانب الكتاب . كلمات طفلة ممتلئة حبا وايمانا ، منطلقة بعفوية محببة ، تجد الدنيا بصفحات كتاب وتغريد لحن ..

وبقيت بوقفتي ألثم أسطر الكتاب بعيوني ، ونسيت تعبي ومضت الساعات وأنا مسمرة أمام المكتبة أقرأ وأقرأ ...

انطفأ الموقد ، وحل الظلام وأنا أتأمل الاحرف والاسطر والمعاني ، وشعرت اني لا أزال تلك الطفلة بل فتاة الخامسة عشرة والحكيم عملاق .. وفرحت لاني سايرت الحكيم بكبره واني أقولها والكبرياء تغمرني لا زلت طفلة أمام نضجه وابداعه . وهذا السر باستمرار اعجابي به .. لقد أدهشتني يا طالع الشجرة هذا العام ، كما أدهشتني زهرة العمر والرباط المقدس ويوميات نائب في الارياف قبل خمس عشر عاما عندما كنت كاتبة ..

وناديت نبيلي الحبيب وقلت له :

ـ ما رأيك لو نمضي الامسية مع توفيق الحكيم .

فانتزع مني الكتاب وتلا ...

(١) لقد لفظ القدر كلمته ، انه لايريد لي طريق القانون ، لقد رسبت في ثلاث درجات ، ولم ترد لجنة المحلفين جبر النقص بينما وافقت لجنة اخرى على جبر أربع درجات لاحد أعضاء البعثة . من هذا ترى أن القدر لم يرد أن يمد الي يده كما مدها الى غيري .

لماذا ؟ اياك أن تفهم أني تهاونت في الدرس ، لقد كانت اجابتي مرضية جدا في علم تاريخ المبادىء والمذاهب الاقتصادية ( آراء أرسطو حتى آراء كارل ماركس ) وكذلك في علم الاقتصاد السياسي وكذلك في علم التشريع الصناعي ، ولم أهبط الى حد الرسوب الا في علم واحد هو علم « المالية » ( ولعل هذا يفسر لك ارتباك ماليتي ) انه علم اجراءات وأرقام لا تستقر في ذاكرتي . آه للذاكرة يا أندريه ، ما دامت الذاكرة هي الحصول عليها الى حد كبير في الامتحان فلا أمل لي . أما المطالعة في ذاتها فما أيسرها وما ألذها عندي . اني أطالع في اليوم ما لا يقل عادة عن مائة صفحة في مختلف ألوان المعرفة ( من أدب وفنون وفلسفة وتاريخ الى علوم رياضية ورومانية ) . مائة صفحة في اليوم أي ثلاثة آلاف صفحة في الشهر . بينما المقرر كله لامتحان الدكتوراه لايتجاوز ثلاثة آلاف صفحة في العام كله . لو تعلم اني قرأت مقرر الدكتوراه للقانون العام وهو عن : ( سلطة الكنيسة والدولة ) و ( نظام العبادات منذ القرن الرابع عشر ) ( عصبة الامم ) و( المبادىء البارزة للقانون الدولي ) وأهم اتجاهات قضاء مجلس الدولة ) و ( الدساتير المكتوبة ) . قرأت ذلك كله دون أن أتقدم فيه الى أي امتحان . قرأته لمجرد القراءة وما قراءة مقرر عندي الى جانب قراآتي الاخرى ! ألم أخبرك اني تتبعت كثيرا من دروس السوربون لغير غاية الا تتبع آثار الثقافة التي تعنيني ، لقد حضرت كثيرا من محاضرات الاستاذ برنشفيج عن « صلات العلم بالدين في القرن السابع » ومحاضرات دلاكروا عن « الاحوال النفسية للفن » ودروس روبين عن « المذاهب الاخلاقية والسياسية لافلاطون وارسطو » ودروس فوجير عن « مصادر فن العمارة الاغريقية » « وآثار اكروبول أثينا » ومحاضرات شنيدر عن « ميكل انجلو وعصره » ومحاضرات برونو عن « الثورة واللغة » ومحاضرات لجويس عن « تاريخ الشعر الانجليزي » الخ.. لم يمنعني الانقطاع عن الحي اللاتيني من متابعة هذه الدراسات فقد استحضرت كتبها وانغمست في مطالعتها لنفسي ، وسرت على دربها وأنا في حجرتها . ان التحصيل في ذاته للثقافة، والتكوين هو لذتي الكبرى الآن .

انما الذي يخيفني هو الامتحان . لقد تحقق لدي اليوم اني لا أصلح بطبعي للتقدم الى أي امتحان . ذلك ان الامتحان يريد مني عكس ما اريد أنا من القراءة . اني أقرأ لانسى . والامتحان يريد مني أن

أقرأ لاتذكر ، اني أقرأ لأهضم ما قرأت أي أحلل مواد قراءاتي الى عناصر تنساب في كياني الـواعي وغـير الواعي • أما الامتحان فيريد مني أن احتفظ له بهذه المواد صلبة مفروزة • اني أشعر وأنا أقرأ حتى مقرر الدكتوراه في القوانين أن مواده قد تفككت واختلطت بمواد أخرى لاعلاقة لها بالقانون ، كما تختلط في المعدة المواد الغذائية بعضها ببعض • واذا الناتج من هـذه المواد المختلطة هو عصير ثقافي يسري في دمي المعنوي فأحس كأن وزني الفكري قد ازداد • وكأن قـدرتي على احتمال التأمل المثمر قد نمت • أما المواد الغذائية في ذاتها فقد هضمت أي شيء • الامتحان يريد مني أن أوقف عملية الهضم حتى يتحقق المتحن من وجود المواد صلبة مفروزة داخل المعدة الذهنية •

لا أريد بذلك أن أعيب نظام الامتحان في ذاته ، انما أعيب نظام بنيتي الفكرية • اني سريع الهضم الى حد قد يعد مرضا في نظر الممتحن •ومع ذلك لمـاذا أتقدم لمتحن ، ما دمت قد تناولت الغذاء وأحس حرارة الدم القوي تفور في رأسي ، فلماذا أدع الناس يفحصون مافي معدتي ؟! أتراني أدافع عن نفسي وألتمس الاعذار يا أندريه ! لست أدري • ها أنت ذا تراني غير يائس ولا ساخط • واني أتقبل الصدمة لانها لاتدل على شيء ، الا على قرب وقوع الكارثة العظمى : تركي أوربـا والعودة الى بلادي •• لقـد لفظ القدر كلمتـه • ولا جدوى من الاصرار على معارضة القدر •

لكن ••• أتراها يا أندريه ارادة القدر حقـا أم ارادتي أنا ؟ من الانصـاف أن أخبرك بشيء عجيب ، لقد قرأت منذ اسبوعين كتابا جديدا لأحد معاني فرويد عن « القدر » • ذكر فيه اننا نحن الذين نصنع أقدارنا بأنفسنا • وأن ما نسميه القدر القدر الا ارادتنا غـير الواعية • ورب حادث صغير أو حلم من الاحـلام أو نبوءة من النبوءات نصدقها فتستقر في أعماقنا وتعمل سرا على دفعنا في سبيل تحقيقها • فلقد حدث لي مثل هذا الحديث• كان ذلك آخر ليلة استعدفيها للامتحان• لقد سهرت الى الرابعـة صبحا تحت مصباح المكتب الصغير حتى أتممت مراجعتي الاخيرة فطويت الاوراق والكتب ونهضت للنوم كي أستيقظ نشيطا للامتحان• وكنت منشرحا متفائلا مفعما بالأمل لامتلاكي ناصية المقرر • واذا فجأة تصطدم يدي بالمصباح فيقع مكسورا على أرض الحجرة تاركا كل شيء في الظلام ، عند ذلك دب التشاؤم في نفسي وحدثتني نفسي بسوء الختام • في هذه اللحظة فقط كان فشلي قد تقرر ، كما تقرر مكبث ملكا مجرما في اللحظة التي آمـن فيهـا بنبوءة الساحرات •

سواء كانت تلك ارادة القدر أم ارادتي فقد فشلت يا اندريه فارث لي ••

رفع نظراته الي وضحكت سنواته الثلاث عشـر وتأملني وقال بخبث طريف •••

اني مثل توفيق الحكيم أحب المطالعة ••

فاتمتم وقد فهمت قصده •

ـ وتهرب من الدروس ••

ـ ومع ذلك علي أن أدرس كمـا تريدون ••• سأكبر وأكتب هذا يوما •

**أخـافت المشي :**

وقبل أن أودعك أحب أن أهمس باذنك بأبيـات من الشعر طربت لها ، لشاعر لم أسمـع به قبلا انـه اسماعيل بن يسار النسائي ••

زيارة الحبيبة ليلا والسير اليها خلسة والقوم نيام

غيرها في كل زمان ومكان ... وكأن لهذه الزيارات المسروقة من الزمن والهاربة من الرقباء متعة خاصة . ومعنى وجدانيا عميقا ، فالحبيب الذي يعرض نفسه للمخاطر ، والحبيبة التي تعطي حياتها لهذا اللقاء .. أية وشاية تقضي عليها وعليه .. فكلاهما يخاطرويغامر، فالدنيا عندهما تعدل هذه الدقائق ...

فتعال معي لنعيش مع الشاعر اسماعيل بلحظاته الرائعة .

أكاتم الناس هوىً شفَّني
وبعض كتمان الهوى أحزم
قد لمتني ظلما بلا ظنة
وأنت فيما بيننا ألومُ
آية ما جئت على رقبة
بعد الكرى ، والحي قد نوَّموا
أخافتُ المشي حذار الردى
والليل داجٍ حالك مظلم
متى دخلتُ البيت، فاستذرفت
من شفقٍ عيناك لي تسجم
ثم انجلى الحزن وروعاته
وغُيِّب الكاشح والمبرم
فبت فيما شئتُ من نعمة
جاد بها لي نحرها والفم
متى اذا الصبح بدا ضوءه
وغارت الجوزاء والحرزم
خرجت والوطء خفي كما
ينساب من مكمنه الأرقم

الى اللقاء في العدد القادم ، وأتمنى أن أمنحك ما يسرك ويطربك .. أتمنى لو كنت قربك وأنت تقرأ فاعرف ما ترغب به وعنه .

ولكن تحقيق أمنيتي محال .. فأنا في غرفتي ومع قلمي وأوراقي ، وأنت بعالمك الخاص ، قد تكون بجانب الموقدة أو بالمكتب أو بالسرير أو بالمدرسة أو بالمقهى ... وأنا عسير علي متابعتك ولكن تمهل قليلا فأنا أطير اليك على جنح غيمة وأتأملك وأستمع اليك.. همستك الصغيرة يحملها الي شعاع ضوء وردي ، وتلفتك الغاضب يرج بقلبي ..

لذا وعد لك علي أن أنتقي دائما الأجمل والافضل برأيي وأتمنى أن تجد به متعة .

**قلم التحرير**

☆ ☆ ☆

## ألطف من الروح

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد
لها مثلا في سائر الناس يوصف
فمنهن حب للحبيب ورحمة
بمعرفتي منه بما يتكلف
ومنهن الا يعرض الدهر ذكرها
على القلب الا كادت النفس تتلف
وحب بدا بالجسم واللون ظاهر
وحب لدى نفسي من الروح ألطف
قيس بن ذريح

☆ ☆ ☆

# من هرقليطس الى ماركس

## دراسة في الجدل

بقلم : فراس سواح

الدياليكتيك .. كلمة يحيط بها الغموض في الغالب ، بسبب التحول الذي طرأ على معناها عبر العصور ، واختلافه من فلسفة الى أخرى .

وقد حاولنا في هذا البحث الصغير ، اعطاء شرح مبسط قدر الامكان لازالة بعض ذلك الغموض انه بالمستطاع اعطاء شرح مطول أو مبسط للدياليكتيك ، ولكنه من المتعذر دوما اعطاء تعريف محدد شامل للكلمة .

تأتي كلمة دياليكتيك ( جدل ) مباشرة من الكلمة اليونانية « ديالجين » أي يجادل ، فهي تعبر عن الصراع بين الافكار المتضادة .

ما هو الجدل ؟ الجدل هو منهج .. ما هو المنهج ؟ المنهج هو الطريق التي توصلنا الى هدف ما ، وهو أفضل طريقة عقلية توصل الى الحقيقة . ولا بد لكل فلسفة من منهج ، وعليه يكون بالامكان التفريق بين المناهج الجدلية ، والمناهج غير الجدلية ، ولنأخذ كمثال « سقراط » ومنهجه الجدلي . لنستنبط بعض المعلومات الاولية . بدلا من أن يعرض سقراط فكره في أبحاث طويلة ، كان له طريقة جديدة تتألف من مرحلتين :

١ ـ التهكم

٢ ـ والتوليد

ففي الاولى كان يتصنع الجهل ويتظاهر بالتسليم بأقوال محدثيه ، ثم ينتقل من أقوالهم الى أقوال لازمة منها ولكنهم لا يسلمون بها ، فيوقعهم بالتناقض ويظهر جهلهم ، ثم ينتقل الى المرحلة الثانية فيساعد محدثيه بالاسئلة والاعتراضات مرتبة ترتيبا منطقيا ، على الوصول الى الحقيقة ، فيصلون اليها وهم لا يشعرون ، بل يحسبون أنهم اكتشفوها بأنفسهم .

الجدل اذن كما نستطيع أن نلاحظ ، هو فن المحاورة والمناقشة وفن الارتفاع العام بالابتداء من الوقائع المشخصة ، والتحقق منها باللجوء الى وقائع أخرى ، هو فن البرهان ودحض كلام الخصم . فالمجادل ينظم معرفته ويصبها في نظام متماسك ، انه يخلق أساسا منطقيا لآرائه . ويشكل ( التناقض ) المبدأ الاساسي الذي تقوم عليه البراهين بالخلف في الجدل .

ان دحض حجج الخصم يعني اظهار أن نظريته تناقض الوقائع البديهية ، أو نظرية سابقة من نظرياته ، وبما أن القضايا المتناقضة لا يمكن ان تكون صحيحة في وقت واحد فان الخصم يضطر بالاعتراف بخطأه .

### معالم الجدل القديم

هرقليطس : ٥٤٠ ـ ٤٧٥ قبل الميلاد

ان دراسة هرقليطس لا تفيد في توضيح معالم الجدل القديم بقدر ما تعيننا على فهم الجدل الحديث وخاصة عند هيجل ، فقد اعتبر في بعض الاحيان الأب الشرعي للجدل الهيجلي الحديث . « الاشياء في تغير

مستمر » هذا قوله الاكبر وملخص مذهبه : انك لا تنزل النهر الواحد مرتين ، لأنك لن تجد نفس قطرات الماء متجمعة ، وهناك باستمرار مياه جديدة حولك ، ولولا التغير لم يكن شيء ، لأن الاستقرار موت ، والتغير صراع بين الأضداد ليحل بعضها محل بعض والشقاق أبو الاشياء وملكها جميعا • فنحن نتنزل في النهر ولا ننزل ، نحن موجودون وغير موجودين من حيث أن الفناء يذب فينا كل لحظة ، فكل شيء كذا وليس كذا ، موجود وغير موجود •

هذه الاثباتات المتناقضة سيعاودها الجدل الحديث •

زينون الايلي :

زينون تلميذ برمنديس ، يعتبر بحق رائد الطريقة الجدلية ، وقد وضع جهده في محاولة تأييد استاذه ضد الذين سخروا منه ، وكان يعتمد في اقامة براهينه على التناقض بصورة جوهرية •

تتلخص أفكار استاذه بأن الوجود واحد قديم ثابت كامل ، وعليه فقد أنكر التغير والكثرة والتعدد التي قال بها هرقليطس والفيثاغورثيون الذين فسروا العالم والوجود بالاعداد ، كما انكر الحركة •

وقد وردت أمثلة طريفة على جدل زينون في محاورات أفلاطون ، فهو في معارضته مبدأ الحركة والتغير يورد حججا أربع • منها : حجة القسمة الثنائية ، وهي مأخوذة من فرض المقدار مركبا من أجزاء لا متناهية ، تقول الحجة أن الجسم المتحرك لن يبلغ غايته الا بعد أن يقطع نصف المسافة اليها ثم النصف الآخر ، وهكذا الى مالا نهاية ، ولما كان اجتياز اللانهاية ممتنعا كانت الحركة ممتنعة •

وهناك حجة ثانية وهي تمثيل للاولى وتسمى « حجة أخيل » ومؤداها أننا اذا فرضنا « أخيل » ذو القدمين الخفيفتين يسابق سلحفاة وهي أبطأ الحيوانات وأن هذه السلحفاة متقدمة عليه مسافة قصيرة ، وأنهما يبدأن الحركة في وقت واحد ، فان أخيل لن يدرك السلحفاة حتى يقطع المسافة الاولى الفاصلة بينهما ثم المسافة الثانية •• وهكذا الى مالا نهاية •

والحجة الثالثة هي حجة الملعب ، وتقوم على فرض الزمان مؤلف من آنات غير متجزئة والمكان من نقط غير منقسمة •

لنفرض وجود ملعب مربع الشكل ، ولنفرض وجود ثلاث مجاميع كل منها مؤلف من أربع وحدات أو نقط والثلاثة متوازية في الملعب • المجموعة الاولى تشغل ••••

نصف الملعب اليميني ، والثانية بعدها تشغل نصفه اليسار •••

والثالثة تحتلها في الوسط تماما ( كما هو مبين في الشكل ) •••

لنفرض الآن ان الاولى والثانية تتحركان بسرعة واحدة كل منهما باتجاه الاخرى بينما الثالثة ساكنة لا تتحرك ان الواحدة منهما تقطع طول الاخرى في زمن هو نصف الزمن الذي تقضيه لقطع طول المجموعة الساكنة • يتم فيه الانتقال من احدى نقط المجموع المتحرك الى النقطة التي تليها ، فتقطع الحركة نفس المسافة في زمن معين وفي ضعف هذا الزمن ، فيكون نصف الزمن مساويا لضعفه وهذا خلف، اذن الحركة وهم•

لقد جاءت حجج زينون لهوا جديا ، ولكنها كانت أمرا جديدا في الفلسفة ، فانه لم يستعمل الجدل عرضا، وانما قصد اليه قصدا ووضعه في صيغة فنية ، ولكنه كان جدلا سالبا لا يذهب من مقدمات ثابتة ولكن من مقدمات تقبلها الخصم ، انه جدل يذهب الى تبيان عيوب الخصم ومغالطاته •

ثم جاء السفسطائيون ، الذين جعلوا همهم التشكيك والتلاعب بعقول العامة ، فليس هناك حقيقة مطلقة ، لان الانسان مقياس لجميع الاشياء • ان

ماتراه حق ، هو حق بالنسبة لك ، وما أراه حق هو حق بالنسبة لي ، وأنا انسان وأنت انسان • وهكذا فقد كان الجدل بالنسبة اليهم اسلوبا للمغالطةوالتضليل •

وعندما جاء سقراط ، كان همه الاول محاربة السفسطائيين بنفس اسلوبهم لقد كانت براعته في الجد لا تحد ، كان يجعل خصومه يسلمون بأمور مناقضة لما اثبتوه في بادىء الامر ، ويتركهم في حالة عجز تام •

اما افلاطون فقد كان جدله هو الجدل السقراطي قبل كل شيء ، ولم يكن الجدل لديه موجبا فقط كما كان عند سقراط بل انه جدل دينامي يتضمن حركة في الفكر وتحفزا للفتح وتجاوزا للمعطى الاول •

حدد افلاطون الجدل بانه المنهج الذي يرتفع به العقل من المحسوس الى المعقول دون ان يستخدم شيئا حسيا ، بل الانتقال من معان الى معان بواسطة معان ، وبانه العلم الكلي بالمبادىء الاولى والامور الدائمة ، يصل اليه العقل بعد العلوم الجزئية ، ثم ينزل منه الى هذه العلوم يربطها بمبادئها ، والى المحسوسات يفسرها • فالجدل علم ومنهج يجتاز جميع مراتب الوجود من أسفل الى اعلى وبالعكس •

واذا كان افلاطون قد رفع الجدل الى مقام العلم والمنهج فان ( ارسطو ) قد عاد به الى معناه المتعارف عليه فحدده :

« بأنه الاستدلال بالايجاب او السلب في مسألة واحدة بالذات مع تحاشي الوقوع في التناقض ، والدفاع عن النتيجة الموجبة او السالبة » ان المجادل عند ليس معنيا بمناقشة مقدمات المحاكمة التي يتفحصها، بل ان وظيفته تتحدد في ملاحظة فيما اذا كانت النتائج مستنتجة بصورة مشروعة • فالمقدمات غالبا ما تكون محتملة ، وليس من شأن المجادل ان يبدي رأيه بصحة النتائج التي هي ذات علاقة بصحة المقدمات •

### معالم الجدل الحديث

كان معنى الجدل يتوحد احيانا بالمنطق عند بعض الفلاسفة القدماء ، ويفترق عنه عند البعض الآخر وفي بداية العصور الحديثة مالت كلمة ( جدل ) الى الاختفاء وحلت محلها كلمة ( منطق ) غير ان الفيلسوف الالماني ( كانت ) عاد فأحيا الكلمة بمعنى جديد بعض الجدة وقبل ( كانت ) كان ( ديكارت ) يخلط بين المنطق والجدل وكان يشعر بعدم انسجام واضح ازاء رجال الجدل ، يقول في هذا المجال : « ان الامر فيما يتعلق بالجدل شبيه بامر البلاغة والشعر ، وفنون اخرى ، كالمبارزة ان المرء يخسر في تعلمها اكثر مما يربح » •

هيجل :

الا ان واجب صياغة المنهج الجدلي لاول مرة بطريقة عبقرية كان يقع على عاتق الفيلسوف الالماني ( هيكل ) وقد قيض لكلمة جدل أن تقترن دائما باسم ذلك الفيلسوف لانه حدد لها ميلادا جديدا يبدو معاكسا لجدل القدماء لقد كان جدل القدماء خاضعا تماما لمبدأ التناقض ، بل ان الامر ابعد من ذلك فسبب وجوده هو منع الاحكام من ان تؤدى الى نتائج متناقضة ومن ثمة الى نتائج لا يمكن التوفيق بينها •

ان شيئا من الاشياء لا يمكنه ان يوجد والا يوجد في وقت واحد ، بل ان الفكر حينما يثبت بالتتالي قضيتين فيما بينهما فان وحدة منهما خاطئة ولا شك •

وكان لا بد من انتظار هيجل ليصوغ بصورة ظاهرة امكانية التوفيق بين المتناقضات فالاشياء موجودة وغير موجودة في وقت واحد انه يجعل من هذا التناقض النابض الاساسي لنشاط الموجودات ، لقد كان الجدل حتى هذا الوقت اما فن البرهان واما فن دحض البرهان ، اللذين يتضمنان معا عدم امكانية التوفيق بين الاضداد اما هيجل فقد جعل منه ما تذوب فيه الاضداد .

لنلخص الآن قواعد المنطق التقليدي الذي يعتمد عليه الجدل القديم بصورة مطلقة :

١ ـ مبدأ الذاتية : الشيء هو نفسه . فالنبات هو النبات والحيوان هو الحيوان وباختصار آ ... هي ... آ ...

٢ ـ مبدأ عدم التناقض : لا يمكن لشيء ان يكون هو نفسه وعكس نفسه في نفس الوقت فالنبات ليس هو الحيوان . والحيوان ليس هو النبات ، والحياة ليست هي الموت والموت ليس هو الحياة وبالاختصار آ ليست الا آ .

٣ ـ مبدأ الثالث المرفوع : أو : استبعاد الحالة الثالثة ليس هناك وجود لامكان ثالث بين امكانين متناقضين، فالكائن اما حيوان أو نبات وليس هناك امكان ثالث، فاذا كانت آ .. و لا آ .. متناقضتين فان أي شيء من الاشياء يكون اما آ .. أو .. لا آ .. هذه باختصار قواعد المنطق التقليدي . لكن الجدل الهجلي حطم هذا المنطق .

كان هيجل يريد ان يتقبل الاطراف المتناقضة فيجمعها في وحدة شاملة وعنده ان الاساس الاول للوصول الى الحقيقة هو الاعتراف باتحاد الاضداد وانسجامها زاعما ان كل اثبات يتضمن نفيا ، وكل نفي يتضمن اثباتا . ذلك هو قلب فلسفة هيجل وصميمها ، وهو يطبق قانونه هذا على كل موضوع بغير استثناء .

فقانون التناقض الذي يقول به المنطق الصوري القديم يجب أن يزول من أجل حقيقة هيجل العليا التي تنسجم فيها المتناقضات ، والتي تذهب الى ان كل شيء يكون موجودا وغير موجود . فلا حقيقة الا لمجموعة الاشياء متحدة في كل ، ولا بد لكل جزء من الاتصال بذلك الكل لكي يكتسب صحته لان الشيء اذا اعتزل وانفرد ضاعت حقيقته . وكل شيء مرحلة ، مرحلة زائلة فانية توصل الى غيره .

ان مبدأ الذاتية القديم هو تحدبد ما هو بسيط مباشر في الوجود . في حين ان التناقض هو جذر الحركة كلها ، ان التناقض الذي يحمله هذا الشيء في ذاته هو وحده الذي يجعله يتحرك وينشط . ان التوفيق بين الاضداد سواء في مجال الاشياء او في مجال الفكر يؤلف ما يدعو هيجل بالجدل .

ان النهج الذي ينهجه الجدل يتضمن ثلاث مراحل :

١ ـ الاطروحة .

٢ـ الطباق .

٣ ـ التركيب .

وهذا ما يدعوه هيجل عادة : الاثبات والنفي ونفي النفي .

ان الثالوث الاول في مذهب هيجل هو اشهرها : الوجود موجود . وهذا هو الاثبات او الاطروحة . بيد أن الوجود غير المحد بصفة كلية والذي ليس هذا او ذلك يعادل العدم . بحيث ان الاثبات او الاطروحة تؤدي الى النفي أو الطباق . ليس الوجود موجودا . ان هذا النفي سوف ينفى ايضا فيكون التركيب في القضية : ان الوجود هو الصيرورة .

وهكذا فالتركيب اذ يرفع التناقض يظل محتفظا بالقضيتين المتقابلتين ، وهو يدل على توقف التفكير في

الفكر او الحركة في الاشياء ولكنه ليس توقفا نهائيا • انه يستثير بدوره النفي الخاص به • ذلك النفي الذي لابد لتركيب جديد من ان يرفعه وهكذا بدون تحديد •

ماركس :

كان انجب تلاميذه هيجل ، ولكن هذا التلميذ النجيب سوف يشرع فيما بعد وفقا لمنهج هيجل في نقد هيجل نفسه • وفي نقد كل ما يمثله هيجل في الثقافة الالمانية وفي الفكر العام •

استطاع ماركس ان يرى في الجدل المنهج العلمي الوحيد ولكنه استطاع ايضا كمادي ان يضعه وضعه الصحيح ، فنبذ المفهوم المثالي للعالم ، أي المفهوم الذي يقول ان الوجود المادي نتاج للفكرة ، كما فهم ان قوانين الجدل هي قوانين العالم المادي وانه اذا كان الفكر جدليا فذلك لان البشر ليسوا غريبين عن هذا العالم ، بل هم جزء منه لقد نبذ القشرة المثالية لمذهب هيجل ليحتفظ بالنواة العقلية أي الجدل • وقد قال هو نفسه في التصدير الثاني بكتاب رأس مال : ان منهجي الجدلي لا يختلف في أساسه عن منهج هيجل فحسب بل هو نقيضه تماما فحركة الفكر التي يجعلها هيجل ذاتا يسميها الفكرة ، هي عنده صانعة الواقع وليس هذا الواقع الا الصورة الظاهرية للفكرة • اما عندي فحركة الفكر ليست الا انعكاساللحركة الواقعية منقولة ومحولة الى المخ البشري •

ساعد ماركس في ذلك انطلاق العلوم الطبيعية في نهاية القرن الثامن عشر وفي أوائل القرن التاسع عشر• وسنرى ماركس وصديقه انجلز يتتبعان طوال حياتهما تقدم العلوم •

فكان المنهج الجدلي يتحدد في دقة بقدر ما تتعمق معرفة العالم • وخلال هذه الحركة ، كان لابد للماركسية من ان تكسب علماء عديدين جدا من كل الاتجاهات•

وقد قام ماركس وانجلز بمحاولة اثبات خصوبة المنهج الجدلي ، اذ قام بتأسيس علم المجتمعات ، ونظريته العامة هي المادية التاريخية ، وذلك بتطبيق ( المادية الجدلية ) على التاريخ البشري ، فالتاريخ بأكمله ليس الا تاريخ الصراع الطبقي ، وان هذه الطبقات الاجتماعية تتصارع نتيجة العلاقات الاقتصادية السائدة في العصر •

والآن ماهي مبادىء الجدل الماركسي ؟ :

١ ـ المبدأ الاول : كل الاشياء مترابطة :

الجدل بعكس الميتافيزيقا لا يعتبر الطبيعة تجميعا عرضيا للاشياء والظواهر المنفصلة بعضها عن بعض ، بل يعتبرها شيئا واحدا مترابطا ، فلا يمكن فهم أي ظاهرة من ظواهر الطبيعة اذا نظرنا اليها نظرة منعزلة خارج الظواهر المحيطة بها وتتحقق صحة هذا المبدأ على نطاق واسع في الطبيعة والمجتمع • ان النباتات والحيوانات تتعلق بالوسط الذي تعيش فيه ويطورها، ثم لا يلبث ان يتطور تحت تأثيرها •

٢ ـ المبدأ الثاني : كل شيء يتحول •

فالجدل الماركسي لايعتبر الطبيعة حالة من السكون والجمود بل يعتبرها حالة حركة وتغير وتجدد وتطور • ينبغي الا ننظر للعالم كأنه مركب من اشياء ناجزة، وينطبق هذا المبدأ بصورة عامة على المجتمع والطبيعة • يقول انجلز : فهناك حركة في الحركة هي حال وجود المادة فلا توجد مادة بلا حركة •

٣ ـ المبدأ الثالث : التغيير الكيفي •

ان الجدل لا يعتبر التطور مجرد عملية تزايد لا تؤدى فيها التغييرات الكمية الى تغيرات كيفية ، بل يعتبرها تطورا ينتقل من التغيرات الكمية الكامنة التي لا دلالة لها الى تغييرات ظاهرة وجذرية ، أي الى تغيرات كيفية • والمثال الشهير الذي يضرب على ذلك هو مثل الماء حينما يوضع على النار ، ترتفع درجة حرارته من درجة لاخرى وعندما تصل الحرارة الى مائة درجة يأخذ الماء بالغليان فيتحول الى بخار ماء •

اذن الصعود المتغير في الحرارة يكون تغيرا في الكم ، وتغير الماء من حالته السائلة الى حالة البخار يكون تغيرا كيفيا • وكذلك فقد ادت التغيرات الكمية الى تغيرات كيفية •

وعلى صعيد المجتمع نجد ان الثورة وهي تغير كيفي هي نتاج ضروري لتطور كمي •

يقول ستالين : ان البروليتاريا قامت عام ١٩٠٥ بعد ان دبت فيها الحياة والقوة فهاجمت مخازن السلاح • هذه حركة ثورية اعد لها تطور طويل من السنين السابقة عندما كانت البروليتاريا تكتفي بالاضرابات المنعزلة •

٤ ـ المبدأ الرابع : صراع الاضداد •

التناقض شامل لانه محور كل تغيير ، والتناقض الماركسي واقع موضوعي • أي أنه لا يوجد في الافكار فقط بل ان وجوده في الفكر ليس الا صورة عن وجوده الموضوعي الخارجي • والتناقض يفسر كل عملية طبيعية أو اجتماعية • وصراع القوى المتضادة شامل في العالم الفيزيائي • ان ظاهرة عادية مثل حدوث صدأ في شوكة معدنية ليس الا نتاجا للصراع بين الحديد والاوكسجين • وان حركة مثل حركة الكواكب حول الشمس لا يمكن فهمها بدون صراع بين ضدين هما : الجاذبية التي تنزع الى اسقاط الكواكب على الشمس والقصور الذاتي ( أي قوة استمرار نفس الحركة ) الذي ينزع الى ابعادها عن الشمس وما الحياة الا صراع مستمر ضد الموت • ثم أليس تطور المجتمعات البشرية نتاجا لصراع الطبقات •

هذه مبادىء جدل ماركس • والآن هل اعطينا فكرة واضحة عن الجدل ؟ • لا أعتقد • ولكننا أعطيناه بطاقة تعريف صغيرة قد تفي بالغرض بالنسبة لغير المتخصص ، ولكن نقطة صغيرة وصغيرة جدا في بحر الجدل الواسع •

دمشق ـ فراس سواح


بعض مراجع البحث :

تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم

تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم

قصة الفلسفة الحديثة : احمد امين زكي نجيب محمود

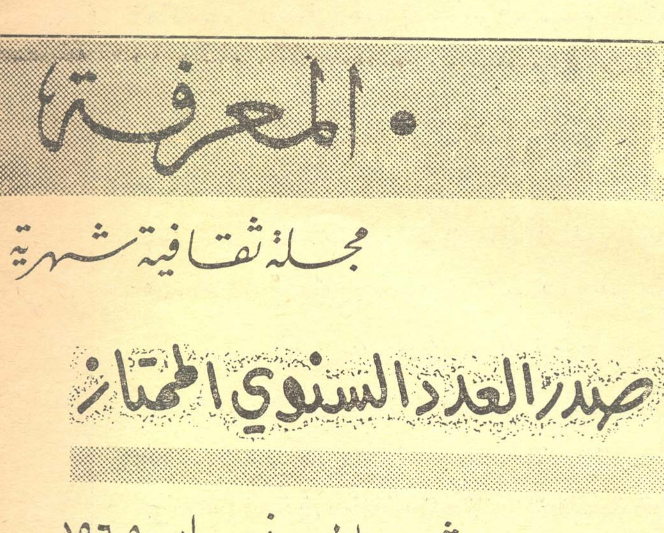
مراجع اجنبية :

ازمة الماركسية : هنري لوفيفر

الدياليكتيك : بول فولكييه

المبادىء الاولية للفلسفة : جورج بوليتزر

تفكير ماركس : جان ايف كالفيز

# مع قصائد العدد الماضي

بقلم : وليد نواف

ان الشعر عبر الاطلاق يواجه من أجل التجلي الانساني الأعمق حضارة الاستاتيكي المفترض وهو في عملية تخطيه لقوالبه الكلاسيكية الجامدة يعقلن أبعاده النظرية المتنافرة عبر العصور :

ولقد كتب اليوت : ( بين الانبثاق والتجسد الظل ) .. والظل مجرد عبور يومي محقق وكشف ميتافيزيقي ورؤى .. ان للشعر مهمته الاولى والاخيرة هو أن يحارب من أجل العري[1] ، وهو عبر التناقضات والسردابية التي يغرق فيها يبرر كينونته على اعتبار أنه يستعرض مورفولوجية الفكر البشري ربما من أجل انبعاث انساني أخصب ، وليس هذا على كل حال من مهام الشعر كما قال ازراباوند .

**الى مراهقة ـ لنازر قباني**

نزار قباني شاعر من النخبة الاولى من هذا البلد ـ يقال ـ وفي قصيدته الى مراهقة يحارب ويتردد متطلباته كانسان أمام مراهقة :

لم أتب عنك ياغبية عجزا
ومتى كانت النسور تتوب
ولكن منطق الاربعين هو الذي يلجم أعصابه :
منطق الاربعين يلجم أعصابي
فعفوا ان لم تثرني الطيوب

ولعل يقظة الضمير عند نزار هي التي أوحت له بكتابة هذه القصيدة ولعل في ذلك تخطيا لحدود وأطر نزار الذاتية وانفتاحا ضميريا بالرغم من سطحيته . يعكس عبورا شخصيا أكثر قيمية .

**اختزال ـ لوصفي قرنفلي**

هذه القصيدة التصويرية لوحة حساسة ينعكس عليها الشكل التصويري الكلاسيكي ... وبنفس الرواسب الميثولوجية تجسم امكانية تجسيد واقعي لرؤى ولكن باطار عمودي .

والتصويرية في الشعر ربما تتبدى لاول وهلة منطق الشعر الانقلابي عبر العصور . ان الكلمة المادة ، لم يعد بامكانها ان تستقطب مضاعفات تجربة محدثة . وهنا يضطر الشاعر ان يطور المادة ـ الكلمة الخام

---

(١) الشعر والتجربة ـ أرشيبالد مالكيش ، ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي .

لاستيعاب « رؤيا عصرية » • ان تجسدات الرؤيا العصرية الخام ربما كانت مشكلة على مستوى الاطلاق •• ولكنها في الشعر تبقى مجرد كشف ربما عن مأساة الكلمة الخام ومفاعلاتها المتيولوجية المعاصرة •

انه شاعر محاصر •• انه يغني بايقاع مهزوم نفس الكلمات التي رددها شعراء عرب منذ الف عام وأكثر •

وعلى ظلال الهدب أغفت قبلة كالخمر سكرى

أنا شاعر القبلات بيض ، ما لهن صدى وحمرا

وجميل جدا أن يلون الشاعر « القبلات » حمرا وبيضا ! وأجمل من ذلك أن مشتقاتنا الرمزية المحدثة لا زالت متعثرة بين تراثنا التعبيري الواقعي وبين رمزية عصر ومخلفات جيل •

**النبيذ والشهد ـ لفريد انطونيوس**

هذه القصيدة الغنائية ذكرتني بقصيدة فروست ـ اضواء القافلة ـ :

أحببت من عينيك لونهما

ورضيت من عينيك بالوعد

انعطاف أخضر يرسمه الشاعر بحروف هادئة حينا وملتهبة حينا آخر لكن المأساة ، مأساته كشرقي تظل •• انه وحيد •• وحدته هذه ليست انكماشا أو تواطؤا •• انها قيود ••

فأنا أسير هوى يعذبني •• قيد أعاني حمله وحدي

ولن نتعرض في هذه القصيدة لشكلها التعبيري ، يكفي أن نقول : ان المدى التعبيري عند شاعر نام منفتح ، وهذا هو المهم ، ولن يكون لغير خالق الكلمات ان يفرض شكل الكلمات ، طالما ان الشاعر هو الوحيد المؤهل لبث الدم والحياة في عروق الكلمات الجامدة ••

مهما كان موقفنا فقد جاءت القصيدة نابضة بالحيوية ، غنية بالدم الجديد •••

**رباعيات حديثة ـ لشوقي بغدادي**

هذه القصيدة تحذف الوحدة العضوية المتعارف عليها في الشكل والمحتوى الشعريين • وليس هذا بجديد •• انها شطحات •• ربما من أجل • تجل أعمق •• انها غيبوبة الفكر ، ومغامراته المستقصية تراث الشكل والاضواء والامل •• ولكنها رحلة متعبة من أجل التكوين .

أمسكت الازميل وصممت

ولكن الحجر تأبى

لكني حين شددت عليه

بأظفاري لان ولبى

جرحت الكف سوى اني

اشعرت بها ألما عذبا

ويخرج الشاعر منهكا •• شعوذه •• وجوه محنطة •• « عائدا من نيويورك أحمل حقائبي المنهكة ياطقوس تكساس البعيدة » كتب ازرباوند ••• ولكن الالم الذي يحسه ممتزج بالعطاء الخصب •• انه ألم عذب ••• وتلكم هي ماهية الكشف الانساني الاعمق •

**تبقى قصيدة رؤيا عمياء ـ لسهيل عجي**

وهذه القصيدة بوسائلها التعبيرية تجسد معطيات عصر ومقدسات جيل تخطاه النور •• انها تعكس « درامية » الصراع الازلي من أجل وجود أكثر براءة وايقاع يرهص بنغم هادىء ، وبصور مكثفة ترسم خطوات جيل يسعى من أجل خلاص وعقلانية وهدوء

غير اني ...

وأنا أعمى أرى ما لا يرى

عفن الضوء الذي ما عاد ضوءا

انها مأساة الجيل الذي يمثله الشاعر :

آه يا زنزانة الرعب التي فيها انتهينا

ريح حمّى .. عفن .. أصداء أصوات رهيبة

انه شاعر يغني..يضعنا أمام المأساة وجها لوجه..

ولكننا لم نفقد جذورنا بعد .. ان الباب الموصد يمكن أن ينفتح وبمزيج من السريالية والاندماج الجمالي الرومانسي يختتم قصيدته .

غير اني ... .

وأنا أعمى أرى ما يرى

ألق الفجر الذي يهدر في قلب الظلام ..

حاملا للناس أنوار السلام ..

ان رؤياه العمياء أصبحت هندسية ... انه يكشف عن جذور قيمية لم تتلاش بعد ... ان الباب المغلق يمكن أن ينفتح ، وان علينا أن ندفعه بهدوء وعزيمة واخلاص .

واخيرا لابد من كلمة نقولها حول قصيدة الافعى المسحورة لصفاء طباع ، القصيدة تسير على النهج التقليدي في شكلها ومضمونها مع طرافة في الموضوع الى حد ما ، واذا كان الشاعر غير ملوم في هجومه على النارجيلة بحد ذاتها أفلا اعتقد انه يسلم على الاقل من «انصارها» وعشاقها عندما يشهر سيف نقمته في وجوههم :

☆ ☆ ☆

بنت ابليس فالدمار مناها

والكسالى يستوطنون حماها

كما انها نهاية القصيدة لم تكن موفقة :

ليس فيها من خفة الروح شيء

يا صديقي لو لم تكن تهواها

ان «معادلة» من هذا النوع أفقدت النفس الشعري المفترض توفره كثيرا من دفئه وحيويته .

وليد نواف

☆ ☆ ☆

## « مود »

ولو لم تكوني فرنجيةً
لكنت سعاديَ قبل سعاد
ولكنني عربي المنى
عربي الهوى عربي الفؤاد
وحقّكِ «يامود» لولاذووك
لما ميَّز الناس بين العباد
ولا أجبروا شاعراً أن يقول
هذي البلاد وتلك البلاد
فهم أوغروا بالعداء الصدور
وهم أوقدوا النار تحت الرماد
واني حرام عليَّ هواكِ
وفي وطني صيحة للجهاد

الشاعر القروي